علامات فارقة في مسيرة الإسلام من حوادث الإسلام

من حوادث الإسلام

حازم خالد

الكتاب: من حوادث الإسلام

الكاتب: حازم خالد

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ــ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

خالد، حازم

من حوادث الإسلام / حازم عوض

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولى: ٣ – ١٤٥– ٤٦٠– ٩٧٣– ٩٧٨

.. ص،.. سم.

١ –من حوادث الإسلام

أ – العنوان ٢٢٩. رقم الإيداع: ١٣٥٢

من حوادث الإسلام

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

التاريخ صفحة بيضاء يمكن لكل إنسان أن يكتب فيها معالم شخصيته، ويدوّن فيها تاريخه الذي تقرأه الأجيال فيما بعد، ولا أدل على ذلك من أنك تقرأ اليوم فصول قصص رجال طواهم الزمن من مئات السنين ولا يزالون بيننا كأنهم أحياء..! وحين تقرأ سيرة ذلك الإنسان لن تجد أنه مخلوق مختلف عن غيره..كلا! إنما هو بشر من الناس لكنه استثمر تلك اللحظات من حياته فكان لزاماً على التاريخ أن يعيد سيرته حية جذلة من جديد..!

وفي هذا الكتاب سوف نفتح بعض صفحات ذلك التاريخ العريض ونقرأ فيه سير قوم مروا في ذاكرة الزمان، ولم يتركوا الدنيا حتى كتبوا في لحظاتها قصصهم كأروع ما تكون، ودونوا في صفحات التاريخ مواقفهم.

إن هذه الصفحات لم تفتح اليوم أمام قُرّائها، وإنما ظلت مفتوحة من مئات السنين لم تطو فيها لحظة، وكان دوري هذه اللحظة أن أعيد قراءة أسطرها من جديد، وأبين معالمها من جديد..!

إنها صفحات تستحوذ على ذاكرة الإنسان، وتفتح ميداناً للسباق على المعالي من جديد، وتهيّج في النفس تاريخها الحقيقي من جديد.. وايم الله ما غير التقوى رفع مقامهم، ولا غير التقوى سطّر أسماءهم، وجاءت الهمة والإرادة على التقوى المنتشرة في القلب فأوقدت فيها جذوة من نار، فثارت تلك النار

في كل ذرة من ذلك الجسد فكتب رسالته القائلة: إن الكبار لا يحول بينهم وبين صناعة التاريخ عقبة مهما كانت كؤود.

لقد ضرب لنا الأمجاد أصحاب رسول الله ﷺ أعظم المثل في الفداء والتضحية، حين باعوا نفوسهم رخيصة في الهدف السامي لرفع كلمة الله فكانوا للنبي القائد المظفر لله أطوع من بنانه: {فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين}.

يحدثنا التاريخ أن رسول الله ﷺ لما خرج لموقعة بدر الكبرى استشار أصحابه في طلب العير أو حرب النفير فسمع من المهاجرين ما سر به وأثلج صدره، لكنه عرض بما قد يستظهر به رأي الأنصار قائلا: "أشيروا على أيها الناس"، فوقعت هذه الكلمة من العربي الأبي المغوار سعد بن معاذ سيد الأوس موقعا هزته، فقال: "كأنك تريدنا يا رسول الله؟"، قال: "أجل". فقال سعد: "قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا، إنا لصبر عند الحروب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله".

هؤلاء القوم من المخلصين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في السر والعلن ولم يمنعهم إخلاصهم أن يصارحوا الرسول ﷺ قائدهم المظفر حتى في فعله، فها هو الحباب بن المنذر، رضي الله عنه، يأتي إلى النبي ﷺ وقد نزل بأدنى ماء من بدر، فيقول: "يارسول الله أهذا منزل أنزلك الله تعالى لا تتقدمه ولا تتاخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟"، قال ﷺ: "لا بل هو الرأي والحرب

والمكيدة"، قال: "فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس يا رسول الله حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فإنني أعرف غزارة مائه، ننزل به ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون".. فقال النبي ﷺ: "أشرت بالرأي".. فنهض بالناس ونفذ رأي الحباب، فكان الحباب محل تقدير رسول الله ﷺ، فقد أعطاه لواء الخزرج في هذه الموقعة.

وما هذه البطولات من هؤلاء الأبطال إلا إيمانًا تغلغل في نفوسهم التي باعوها رخيصة لمرضاة الله ورسوله وجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله عند الجهاد {ولمثل هذا فليعمل العاملون}.

وإنني وأنا أفتح هذه الصفحات من جديد أرى النور القادم يتخلل من وجهك أيها القارئ الكريم أياً كنت رجلاً وامرأة، وأرى الأرض التي اتسعت لتلك الإنجازات بالأمس لم تزل كذلك واسعة لم ينقص منها شيء.. وإن رجلاً أراد أن يعيد سير الكبار جذلة من جديد ليس بينه وبين ذلك إلا أن يرتّب فيها معالم شخصيته من جديد، ويمد للتقوى في حياته ميادين أخرى مثل أو أكبر من الصور التي عاشها أولئك القوم، ثم يصل تلك التقوى بالهمة والإرادة حتى تذهب تعانق السماء كأنها لحظات الفوز تتدلى من جديد..! وإن رجلاً يقرأ أسطري هذه اللحظة هو مدعو أن يفتح صفحة أخرى لا تقل قدراً عن تلك الصفحات الماضية حتى يأتي كتاب التاريخ في لحظة من الزمن القادم فيعرضونها معها جنباً إلى جنب.. والملتقى الفردوس الأعلى، إن شاء الله تعالى.

استشهاد حامل الراية زيد بن حارثة

زيد بن حارثة ﷺ، وكان يسمى قبل بعثة النبي ﷺ زيد بن محمد، وكانت أمه سُعدى بنت ثعلبة قد أخذته معها، وهو ابن ثمان سنوات، لزيارة أهلها في بني مَعْن، ومكثت سُعدى في قومها ما شاء الله لها أن تمكث، وفوجئ أهل معن بإحدى القبائل المعادية تهجم عليهم، وتنزل الهزيمة بهم، وتأخذ من بين الأسرى زيدًا.

وعادت الأم إلى زوجها وحيدة، فلم يكد يعرف حارثة الخبر حتى سقط مغشيا عليه، وحمل عصاه فوق ظهره، ومضي يجوب الديار، ويقطع الصحاري، يسأل القبائل والقوافل عن ابنه وقرة عينه، حتى جاء موسم الحج والتجارة، فالتقى رجالا من قبيلة حارثة زيداً في مكة، ونقلوا له لوعة أبويه، فقص عليهم زيد حكايته، وكيف هاجم بنو القَين قبيلة أمه واختطفوه، ثم باعوه في سوق عكاظ لرجل من قريش اسمه حكيم بن حزام بن خويلد، فأعطاه لعمته خديجة بنت خويلد التي وهبته لزوجها محمد بن عبد الله، فقبله وأعتقه، ثم قال زيد للحجاج من قومه: أخبروا أبي بأني هنا مع أكرم والد.

فلما عاد القوم أخبروا أباه، ولم يكد حارثة يعلم مكان ابنه حتى خرج هو وأخوه إلى مكة فسألا عن محمد بن عبد الله، فقيل لهما: إنه في الكعبة وكان النبي لم يبعث بعد فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا، فامنن علينا، وأحسن في فدائه، فترك النبي لزيد حرية الاختيار، فقال لهما: ادعيا زيدًا،

خيراه، فإن اختاركما فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء.

ففرح حارثة، وقال للنبي: لقد أنصفتنا، وزدتنا، وأحسنت إلينا، فلما جاء زيد سأله النبي: أتعرف هذين؟ قال زيد: نعم: هذا أبي، وهذا عمي، فقال الرسول لزيد: فأنا مَنْ قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت مني مكان الأب والعم. فدهش أبوه وعمه وقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! فقال زيد: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. فلما رأى الرسول ذلك فرح فرحًا شديدًا، ودمعت عيناه، وأخذ زيدًا وخرج إلى حجر الكعبة حيث قريش مجتمعة، ونادى: يا من حضر، اشهدوا أن زيدًا ابني يرثني وأرثه. فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفساهما. وصار زيد لا يعْرف في مكة كلها إلا بزيد بن محمد، فلما جاء الإسلام أسلم زيد، وكان ثاني المسلمين، وأحبه الرسول حبًّا عظيمًا. ولما أذن الرسول لأصحابه بالهجرة هاجر زيد إلى المدينة، وآخى الرسول بينه وبين أسيد بن حضير، وظل زيد يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالي: "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله" فسمى زيد بن حارثة، وزوجه الرسول مولاته أم أيمن، فأنجبت له أسامة بن زيد، ثم زوجه ابنة عمته زينب بنت جحش، ولكن لم تطب الحياة بينهما، فذهب زيد إلى الرسول يشكوها، فأخبره النبي أن يمسك عليه زوجه، ويصبر عليها. ولكن الله سبحانه أمر رسوله أن يطلق زينب من زيد، ويتزوجها هو، وذلك لإبطال عادة التبني التي كانت منتشرة في الجاهلية، وكان الابن بالتبني يعامل معاملة الابن الصلب، قال تعالى: "إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى

زيد منها وطرًا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا ما قضوا منهن وطرًا وكان أمر الله مفعولاً".

ويكفي زيد فخرًا أن شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن الكريم، وقد زوجه الرسول من أم كلثوم بنت عقبة، وكان زيد فدائيا شجاعًا، ومن أحسن الرماة، واشترك في غزوة بدر، وبايع النبي على الموت في أحد، وحضر الخندق، وصلح الحديبية، وفتح خيبر، وغزوة حنين، وجعله النبي أميرًا على سبع سرايا، وقد قالت السيدة عائشة عنه: ما بعثه رسول الله في جيش قط، إلا أمره عليهم.

وعندما أخذ الروم يغيرون على حدود الدولة الإسلامية، واتخذوا من الشام نقطة انطلاق لهم؛ سير الرسول جيشًا إلى أرض البلقاء بالشام، ووقف يوَدِّعُ جيشه بعد أن أمر عليهم زيد بن حارثة، قائلاً: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة. وسار الجيش حتى نزل بجوار بلدة تسمي مؤتة، وتقابل جيش المسلمين مع جيش الروم الذي كان عدده يزيد على مائتي ألف مقاتل، ودارت الحرب، واندفع زيد في صفوف الأعداء، لا يبالي بعددهم ولا بعدتهم، ضاربًا بسيفه يمينًا ويسارًا، حاملا الراية بيده الأخرى، فلما رأي الأعداء شجاعته طعنوه من الخلف، فظل زيد حاملاً الراية حتى استشهد، فدعا له الرسول وقال: استغفروا لأخيكم، قد دخل الجنة وهو يسعى.

شهيد أُحد

مصعب بن عمير

أول سفير في الإسلام مصعب بن عمير ﷺ أو مصعب الخير، كان في صغره وقبل إسلامه شابًا جميلا مدللاً منعمًا، يلبس من الثياب أغلاها، يعرفه أهل مكة بعطره الذي يفوح منه دائمًا، وأبوه وأمه من أغنى أغنياء مكة، وكانا يحبانه حبًّا شديدًا، فرغباته كلها منفذة، وطلباته كلها مجابة. سمع مصعب ما سمعه أهل مكة من دعوة محمد التي ينادي فيها بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، والمساواة بين الناس والتحلي بمكارم الأخلاق، فتحركت نفسه، وتاقت جوارحه أن يتعرف على هذا الدين الجديد.

ولم يمض غير قليل حتى أسرع للقاء النبي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأعلن إسلامه. وكانت أمه خناس بنت مالك تتمتع بقوة شخصيتها، وكان مصعب يهابها، ولم يكن حين أسلم يخشى شيئًا قدر خشيته من أن يتسرب خبر إسلامه إلى أمه، فقرر أن يكتم إسلامه حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، وأخذ يتردد على النبي في دار الأرقم، يصلي معه ويستمع إلى آيات الله. وذات يوم رآه عثمان بن طلحة وهو يصلي مع الرسول، فذهب إلى أمه وأخبرها بما رأى، فطار صوابها، وغضبت عليه هي وقومها غضبًا شديدًا، لكن الفتى المؤمن وقف أمامهم يتلو عليهم القرآن في يقين وثبات، لعل الله يشرح به قلوبهم، ولم يشأ الله هدايتهم بعد، فقرروا حبسه، وعذبوه، فصبر واحتسب ذلك كله في سبيل الله. ومنعت أمه

عنه الطعام ذات يوم، ورفضت أن يأكل طعامها من هجر آلهتها ولو كان ابنها، وأخرجته من دارها، وهي تقول له: اذهب لشأنك لم أعد لك أمًّا، ورغم كل هذا يقترب مصعب من أمه ويقول لها: يا أمه إني لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

فتجيبه غاضبة: قسمًا بالآلهة، لا أدخل في دينك، فيزري برأيي ويضعف عقلي. وعندما سمع مصعب بخروج بعض المؤمنين مهاجرين إلى الحبشة هاجر معهم، ثم عاد إلى مكة مع الذين عادوا إليها، فرآه قومه بعد رجوعه فرقت قلوبهم، وكفوا عن تعذيبه، وبعد بيعتي العقبة الأولي والثانية جاء إلى النبي من آمن من الأنصار، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم، فاختار الرسول مصعبًا ليكون أول سفير له خارج مكة، وأول مهاجر إلى المدينة المنورة. فترك مصعب مكة للمرة الثانية طاعة لله ولرسوله، وحمل أمانة الدعوة إلى الله مستعينًا بما أنعم الله عليه من عقل راجح، وخلق كريم، وأعجب أهل المدينة بزهده وإخلاصه فدخلوا في دين الله، وكان مصعب يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسلم على يديه سادة أهل المدينة، مثل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

وتمضي الأيام والأعوام، ويهاجر الرسول وأصحابه إلى المدينة، وتغضب قريش، وتعد العدة لقتال المسلمين، ويلتقي جيش المسلمين والكفار في غزوة بدر، وينتصر المسلمون، وتجيء غزوة أحد، ويختار الرسول مصعبًا ليحمل اللواء. ونشبت معركة رهيبة واحتدم القتال، وكان النصر أول الأمر للمسلمين، ولكن سرعان ما تحول النصر إلى هزيمة لما خالف الرماة أمر رسول الله، ونزلوا من فوق الجبل يجمعون الغنائم، وأخذ المشركون يقتلون المسلمين، وبدأت

صفوف المسلمين تتمزق. وركز أعداء الإسلام على الرسول وأخذوا يتعقبونه، فأدرك مصعب هذا الخطر، وصاح مكبرًا، ومضى يجول ويصول، وهمه أن يلفت أنظار الأعداء إليه؛ ليشغلهم عن رسول الله، وتجمع حوله الأعداء، فضرب أحدهم يده اليمنى فقطعها، فحمل مصعب اللواء بيده اليسرى، فضرب يده اليسري فقطعها، فضم مصعب اللواء إلى صدره بعضديه، وهو يقول: وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل، فضربه أعداء الله ضربة ثالثة فقتلوه، واستشهد مصعب.

وبعد انتهاء المعركة جاء الرسول وأصحابه يتفقدون أرض المعركة، ويودِّعون شهداءها، وعند جثمان مصعب سالت الدموع وفيرة غزيرة، ولم يجدوا شيئًا يكفنونه فيه إلا ثوبه القصير، إذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه، وإذا وضعوه على رجليه ظهرت رأسه، فقال النبي: غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر (نبات له رائحة طيبة). ومضى مصعب إلى رحاب الله سبحانه، وصدق فيه قول الله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"، وقال الرسول وهو ينظر إلى شهداء أحد: أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فوالذي نفسي بيده لا يسلِّم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه.

محاولات اليهود لقتل الرسول ﷺ

لقد كان اليهود ينتظرون مبعث نبي يأتي في آخر الزمان، وكانوا يعتقدون أنه سيبعث اليهم دون غيرهم، ولكن لما بعث النبي إلى الناس كافة، فأخذ اليهود يكيدون له محاولين قتله تارة وتكذيبه تارة أخرى، ولقد حاولوا اغتيال النبي أكثر من مرة.

وكان من أبرز تلك المحاولات محاولة عمرو بن جحاش ويهود بني النضير قتل النبي، حيث خرج رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهم عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله عقده لهما وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله يستعينهم في دية القتيلين قالوا: "نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه"، ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمروا رجلا يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه"، وعينوا لذلك عمرو بن جحاش فقال: أنا لذلك، فقالوا نطلع على السطح ونلقي عليه رحى من فوقه نقتله بها، وأنكر عليهم سلام بن مشكم عملهم، وقال لا تفعلوا، لكنهم أجمعوا على أن ينفذوا خطتهم القذرة، وقبل أن يفعلوا فعلتهم أوحى الله إلى نبيه بما أجمع عليه اليهود، فقام على الفور كأنه يقضي حاجته ودخل المدينة ولما استبطأه أصحابه قاموا ولحقوا به فأخبرهم بمؤامرة اليهود.

وكانت ثاني هذه المحاولات محاولة اليهود اغتيال النبي بالسم بعد غزوة خيبر في العام السابع من الهجرة، حيث أقدم اليهود على اغتيال النبي بالسم،

وذلك عندما أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم (وهي بنت الحارث زعيم من زعماء اليهود قتل في معركة خيبر)، شاة مسمومة قد سمتها وسألت: أي اللحم أحب إليه؟ فقالوا: الذراع، فاكثرت فيه السم، فلما انتهش النبي من الذراع أخبره الذراع أنه مسموم، فلفظ الأكلة، إلا أن النبي كان قد لاك منها مضغة فلم يسغها، ولقد بقي أثر هذا السم في جسد النبي، فلما اشتد وجع النبي من مرضه في عام الوداع قال لأم المؤمنين عائشة: "يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوانه، وإني وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم".

حنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة ليزف إلى الجنة

وبعد أن زفت جميلة إليه وأفضى بها حنظلة في ليلة عرسه سمع منادي رسول الله ﷺ يهيب بالمسلمين أن يخرجوا "لأحد"، فأعجلته الاستجابة السريعة حتى قبل الاغتسال ولحق برسول الله وهو يسوي الصفوف، ثم أبلى بلاء حسناً حتى التحق بالشهداء البررة وغسلته الملائكة.

هو حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة الأنصاري الأوسي، من بني عمرو بن عوف أبوه أبو عامر واسمه عمرو، وقيل عبد عمرو، ويعرف بالراهب في الجاهلية، قرأ كتب اليهود، ورأى فيها صفات النبي ﷺ، وكان يذكر البعث ودين الحنيفية، فلما بعث رسول الله ﷺ كان يحسده ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة لقيه أبو عامر فقال له: ما هذا الذي جئت به يامحمد؟

قال رسول الله ﷺ: "جئت بالحنيفية، دين إبراهيم".

قال أبو عامر: أنا عليها.

فقال له رسول الله ﷺ: "إنك لست عليها".

قال أبو عامر: أدخلت في الحنيفية ما ليس منها!!

فقال رسول الله ﷺ: "ما فعلت، ولكن جئت بها بيضاء نقية".

قال أبوعامر: أمات الله الكاذب منا طريدا غريبا وحيدا.

فقال رسول الله ﷺ: "آمين".

فقال أبو عامر: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم.

وفي نهاية هذا اللقاء أطلق عليه رسول الله ﷺ لقب "الفاسق"، فصار يسمى "أبو عامر الفاسق" بدلا من" الراهب"، وخرج إلى مكة، والتقى فيها زعماء قريش وراح يحرضها على قتال رسول الله ﷺ وتعهد لهم بمساندتهم إذا قدموا إلى المدينة، وأقام بمكة فلما فُتحت هرب إلى هرقل والروم فمات كافرا غريبا وحيدا كما دعا على نفسه.

إسلام حنظلة

كان حنظلة ﷺ من سادات المسلمين وفضلائهم، أسلم مع قومه الأنصار لما قدم النبي ﷺ المدينة، وكان من المصدقين ويعد في الطبقة الثانية للصحابة.

وكان حنظلة ﷺ يعاني الألم والعذاب من موقف أبيه المعادي لرسول الله ﷺ، وكان شريكه في تلك المعاناة مؤمنا تقيا صادقا هو عبدالله بن عبدالله بن أُبي بن سلول ﷺ ابن رأس النفاق الذي لقي منه رسول الله ﷺ الأمرين وكان "حنظلة" و"عبدالله" ﷺ يزدادان في كل يوم قربا من رسول الله ﷺ وحباً له، بينما يزداد أبواهما له كرها وحقدا.

زفاف إلى الجنة

روي أن حنظلة ﷺ قد خطب لنفسه جميلة بنت عبدالله بن أُبي بن سلول، واستأذن حنظلة رضي الله عنه النبي ﷺ في أن يدخل بها فأذن له، فكانت ليلة غزوة أحد أسعد ليالي حنظلة ﷺ وأكثرها فرحا وسرورا، إنها ليلة زفافه على جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول وشقيقة صاحبه عبدالله ﷺ.

وبعد أن زُفت اليه وأفضي حنظلة ﷺ إلى عروسه في أول ليلة، سمع منادي رسول الله ﷺ يهيب بالمسلمين أن يخرجوا إلى أحد فترك حنظلة عروسه، ونسي فرحته الصغري طمعا في الفرحة الكبرى، إنها مجاهدة الكفار للفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، فشغله الصوت عن كل شيء، وأعجلته الاستجابة السريعة حتى عن الاغتسال، والتحق حنظلة برسول الله ﷺ وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المشركون، كان حنظلة ﷺ يثب على أرض المعركة ويتفحص الوجوه كالنمر الجائع يريد أن يجد فريسة سمينة دسمة يسكت بها جوعه، ولاحت له عن كثب تلكم الفريسة التي يتمناها، ولقد كانت أبا سفيان زعيم قريش، فضرب عرقوب فرسه فقطعه، ووقع أبو سفيان إلى الأرض يصيح:

يا معشر قريش أنا أبو سفيان بن حرب.

وفيما كان حنظلة ﷺ يهم بأن ينقض عليه ويرديه قتيلا، كان ابن شعوب وهو شداد بن الأسود يراقبه فحمل على حنظله ﷺ، وضربه بسيفه فقضى عليه وألحقه بقافلة الشهداء البررة.

غسيل الملائكة

مضت المعركة حتى نهايتها، ثم تحدث رسول الله ﷺ عن الشهيد حنظلة ﷺ، فقال لأصحابه:

"ما شأن حنظلة إن صاحبكم لتغسله الملائكة، فاسألوا أهله ما شأنه؟".

فسُئلت زوجته عن ذلك، فقالت: "سمع صيحة الحرب وهو جنب، فخرج مسرعا ولم يتأخر للاغتسال".

فلما بلغ كلامها مسمع النبي ﷺ قال:

"لذلك غسلته الملائكة، لقد رأيت الملائكة تغسله في صحائف الفضة، بماء المزن، بين السماء والأرض" وفي رواية: "لذلك غسلته الملائكة، وكفى بهذا شرفا ومنزلة عند الله". وروي الحاكم في المستدرك أن حنظلة بن أبي عامر ﷺ تزوج فدخل بأهله الليلة التي كانت صبيحتها يوم أحد، فلما صلى الصبح لزمته "جميلة" فعاد فكان معها، فأجنب منها ثم إنه لحق برسول الله ﷺ، ومنذ ذلك اليوم وحنظلة رضي الله عنه يلقب بـ:"غسيل الملائكة".

"أسد الله" حمزة

قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله

إذا قيل "أسد الله" انصرف ذهن السامع إلى ذلكم البطل المجاهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.. الإمام البطل الضرغام أسد الله أبو عامرة، وأبو يعلي القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد، عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة.

لقد كان لحمزة مواقف تسطر بماء الذهب، بل سطرها التاريخ بأحرف من نور وحضنها بين دفتيه يخبر بها أجيال المستقبل؛ لكي يستفيد من تلك المواقف الغابرة الماضية. قال سعد بن أبي وقاص: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله بسيفين ويقول: أنا أسد الله. لقد صال حمزة بسيفه رضي الله عنه ميمنة وميسرة يهد الناس، مدافعا عن كلمة الحق ولإعلاء كلمة لا إله إلا الله، وبينما هو كذلك، كان هناك من يترصد له ليقتله، وذلك لأن حمزة كان بغيته المنشودة، فبقتله يذوق وحشي طعم الحرية كما وعده مولاه جبير بن مطعم، حيث يقول وحشي: رأيت رجلا إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا حمزة .قلت: هذا حاجتي.

وفي هذا الشأن قال البخاري: وحدثني أبو جعفر محمد بن عبد الله حدثنا جحين المثني حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل، عن سليمان بن يسار، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت

مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت نعم . وكان وحشي يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت.

قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال عبيد الله متجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينه ورجليه فقال عبيد الله يا وحشي أتعرفني؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله قال، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العاص، فولدت له غلاما بمكة فكنت أسترضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأني نضرت إلى قدميك .

قال: فكشف عبيد الله عن وجهه فقال: ألا تخبرنا بقتل حمزة قال: نعم، إن حمزة قتل طعمية بن عدي بن الخيار ببدر فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر.

قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أحد، بينهما واد خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارزة ؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب وشد عليه، فكان كأمس الذاهب قال وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحربتي في ثنّته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به.

فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله رسلا، فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ، فلما رآني قال لي: أنت وحشي؟ قلت نعم.

قال أنت قتلت حمزة؟ قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ قال: فخرجت. فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرجن لعلي أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان.

مقتل حواري الرسول الزبير بن العوام

الزبير بن العوام ﷺ، يلتقي في نسبه مع النبي، فأمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد الستة أهل الشوري الذين اختارهم عمر؛ ليكون منهم الخليفة بعد موته، وزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ.

وقد أسلم الزبير مبكرًا، فكان واحدًا من السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام، ولما علم عمه نوفل بن خويلد بإسلامه غضب غضبًا شديدًا، وتولي تعذيبه بنفسه، فكان يلفُّه في حصير، ويدخن عليه بالنار، ويقول له: اكفر برب محمد، أدرأ عنك هذا العذاب. فيرد عليه الزبير قائلاً: لا والله لا أعود للكفر أبدًا. وسمع الزبير يومًا شائعة كاذبة تقول: إن محمدًا قد قتل، فخرج إلى شوارع مكة شاهرًا سيفه، يشق صفوف الناس، وراح يتأكد من هذه الشائعة معتزمًا إن كان الخبر صحيحًا أن يقتل من قتل رسول الله، فلقي النبي بشمال مكة، فقال له النبي "مالك؟" فقال: أخبرت أنك أخذت فقال له النبي "فكنت صانعًا ماذا؟" فقال: كنت أضرب به من أخذك. ففرح النبي لما سمع هذا، ودعا له بالخير ولسيفه بالنصر. فكان ﷺ أول من سل سيفه في سبيل الله.

وقد هاجر الزبير إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين، وبقي بها حتى أذن لهم الرسول بالعودة إلى المدينة.

وقد شهد مع رسول الله الغزوات كلها، وفي غزوة أحد بعد أن عاد جيش قريش إلى مكة أرسل الرسول سبعين رجلا من المسلمين في أثرهم، كان منهم أبو بكر والزبير.

ويوم اليرموك، ظل الزبير ﷺ يقاتل جيش الروم وكاد جيش المسلمين أن يتقهقر، فصاح فيهم مكبرًا: الله أكبر. ثم اخترق صفوف العدو ضاربًا بسيفه يمينًا ويسارًا، يقول عنه عروة: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، كنت أدخل أصابعي فيها، ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

وقال عنه أحد الصحابة: صحبت الزبير بن العوام في بعض أسفاره، ورأيت جسده، فقلت له: والله لقد شهدت بجسمك لم أره بأحد قط، فقال لي: أما والله ما فيها جراحة إلا مع رسول الله، وفي سبيل الله. وقيل عنه: إنه ما ولي إمارة قط، ولا جباية، ولا خراجا، ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي أو مع أبي بكر أو عمر أو عثمان.

وحين طال حصار بني قريظة دون أن يستسلموا أرسله رسول الله مع على بن أبي طالب، فوقفا أمام الحصن يرددان قولهما: والله لنذوقن ما ذاق حمزة، أو لنفتحن عليهم الحصن.

وقال عنه النبي: "إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير"، وكان يتفاخر بأن النبي قال له يوم أحد، ويوم قريظة: "ارم فداك أبي وأمي".

وتقول السيدة عائشة ﷺ لعروة بن الزبير: كان أبواك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعدما أصابهم القرح. وكان الزبير بن العوام من أجود الناس وأكرمهم، ينفق كل أموال تجارته في سبيل الله، يقول عنه كعب: كان للزبير ألف

مملوك يؤدون إليه الخراج، فما كان يدخل بيته منها درهمًا واحدًا، لقد تصدق بماله كله حتى مات مديونًا، ووصى ابنه عبد الله بقضاء دينه، وقال له: إذا أعجزك دين، فاستعن بمولاي. فسأله عبد الله: أي مولي تقصد؟ فأجابه: الله، نعم المولى ونعم النصير. يقول عبد الله فيما بعد: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه.

وعلى الرغم من طول صحبته للنبي فإنه لم يرو عنه إلا أحاديث قليلة، وقد سأله ابنه عبد الله عن سبب ذلك، فقال: لقد علمت ما كان بيني وبين رسول الله من الرحم والقرابة إلا أني سمعته يقول: "من كذب على متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار" فكان ﷺ يخاف أن يتحدث عن رسول الله بشيء لم يقله، فيزل بذلك في النار. وخرج الزبير من معركة الجمل، فتعقبه رجل من بني تميم يسمى عمرو بن جرموز وقتله غدرًا بمكان يسمى وادي السباع، وذهب القاتل إلى الإمام على يظن أنه يحمل إليه بشرى، فصاح على حين علم بذلك قائلاً لخادمه: بشر قاتل ابن صفية بالنار. حدثني رسول الله أن قاتل الزبير في النار.

الشاعر الشهيد

عبد الله بن رواحة

عبد الله بن رواحة الخزرجي الأنصاري ﷺ،كان يكنى أبا محمد. وقد حضر بيعتي العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق، وكان أحد شعراء النبي الثلاثة، وكان بين يدي النبي في عمرة القضاء يقول:خَلُّوا بني الكُفَّار عَنْ سَبيلِهِ نَضْرِبُكُمْ على تَنْزِيلِهِ.. ضَرْبًا يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيله.

فنادى عليه عمر وقال له: في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول هذا الشعر؟ فقال له النبي: خَلِّ عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وَقْعِ النبل.

وكان عبد الله عابدًا محبًا لمجالس العلم والذِّكر، فيروى أنه كان إذا لقي رجلا من أصحابه قال له: تعال نؤمن بربنا ساعة. وذات مرة سمعه أحد الصحابة يقول ذلك، فذهب إلى النبي، وقال: يا رسول الله، ألا ترى ابن رواحة، يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة؟! فقال له النبي: رحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة.

وذات مرة ذهب عبد الله إلى المسجد والنبي يخطب، وقبل أن يدخل سمع النبي يقول: اجلسوا، فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ النبي من خطبتيه، فبلغ ذلك النبي، فقال له: زادك الله حرصًا على طواعية الله ورسوله.

وكان كثير الخوف والخشية من الله، وكان يبكي كثيرًا، ويقول: إن الله تعالي قال: (وإن منكم إلا واردها)، فلا أدري أأنجو منها أم لا؟ وعُرفَ عبد الله بن رواحة بكثرة الصيام حتى في الأيام شديدة الحر، يقول أبو الدرداء ﷺ خرجنا مع النبي في بعض أسفاره في يوم حار حتى وضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا النبي وابن رواحة.

ولما نزل قول الله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون)، أخذ عبد الله في البكاء لأنه كان شاعرًا يقول الشعر، ويدافع به عن الإسلام والمسلمين، وقال لنفسه: قد علم الله أني منهم، وكان معه كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، وهم شعراء الرسول الثلاثة، فنزل قول الله تعالي: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا وانتصروا من بعد ما ظلموا) ففرح عبد الله بذلك، واستمر في نصرة المسلمين بشعره.

وكما نصر عبد الله الإسلام في ميدان الكلمة، فقد نصره باقتدار في ميدان الحرب والجهاد بشجاعته وفروسيته.

وكان ابن رواحة أمينًا عادلاً، وقد أرسله النبي إلى يهود خيبر؛ ليأخذ الخراج والجزية مما في أراضيهم، فحاولوا إعطاءه رشوة؛ ليخفف عنهم الخراج، فقال لهم: يا أعداء الله، تطعموني السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ، ولأنتم أبغض إلى من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على إلا أعدل عليكم (أي أتعامل معكم بالعدل).

وفي شهر جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة، علم الرسول أن الروم قد حشدوا جيوشهم استعدادًا للهجوم على المسلمين، فأرسل النبي جيشًا إلى

حدود الشام عدده ثلاثة آلاف مقاتل؛ ليؤمِّن الحدود الإسلامية من أطماع الروم، وجعل زيد بن حارثة أميرًا على الجيش، وقال لهم: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رَواحة.

فلما وصل جيش المسلمين إلى حدود الشام، علموا أن عدد جيش الروم مائتا ألف فارس، فقالوا: نكتب إلى النبي ليرسل إلينا مددًا من الرجال، أو يأمرنا أن نرجع أو أي أمر آخر، فقال لهم ابن رواحة: يا قوم، والله إن التي تكرهون هي التي خرجتم تطلبون، إنها الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور نصر وإما شهادة.

فكبر المسلمون وواصلوا مسيرتهم حتى نزلوا قرية بالشام تسمى مؤتة، وفيها دارت الحرب، وقاتل المسلمون أعداءهم قتالاً شديدًا، وأخذ زيد بن حارثة يقاتل ومعه راية المسلمين، فاستشهد زيد، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب، وراح يقاتل في شجاعة حتى استشهد، فأخذ عبد الله الراية، فأحس في نفسه بعض التردد، ولكنه سرعان ما تشجع، وراح يقاتل في شجاعة ويقول:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّه طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرِهِنَّه
فَطَالَمَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّة مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّةْ
يَا نَفْسُ إلا تُقْتَلِي تَمُوتي وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيت
إِنْ تَفْعَلِي فَعْلَهُمَا هُدِيتِ وَإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَد شُقِيتِ

ونال عبد الله الشهادة، ولحق بصاحبيه زيد وجعفر

الشهيد العائذ بالبيت

عبد الله بن الزبير

إنه أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام ﷺ، ابن ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، وقد وضعته أمه حين وصلت قُباء، فكان أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، ثم أتت به أمه الرسول فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم وضعها في فمه، فكان أول شيء دخل بطنه ريق النبي، ثم دعا له بالبركة، وسماه عبد الله على اسم جده أبي بكر وكناه بكنيته. وكان ميلاده حدثًا عظيمًا أبطل مزاعم اليهود الذين زعموا أنهم سحروا المسلمين فلن يولد لهم بالمدينة ولد، وكبَّر الصحابة حين ولد تكبيرة اهتزت المدينة منها.

ونشأ عبد الله في بيت النبوة حيث تربي في حجر خالته عائشة أم المؤمنين ﷺ، وظهرت عليه علامات الشجاعة منذ طفولته. وذات يوم تحدث بعض الصحابة مع النبي في أمر أبناء المهاجرين والأنصار الذين ولدوا في الإسلام حتى ترعرعوا من أمثال عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وعمر بن أبي سلمة، وقالوا له: لو بايعتهم فتصيبهم بركتك، ويكون لهم ذكر؟، وجاءوا بهم إلى النبي فخافوا ووجلوا من النبي إلا عبد الله بن الزبير الذي اقتحم أولهم، فرآه النبي فتبسَّم، وقال: إنه ابن أبيه. وبايعه النبي وهو ابن سبع سنين. وكان عبد الله فارسًا شجاعًا يحب الجهاد، ويذهب مع أبيه ليتدرب على ركوب الخيل والمبارزة، وشهد معه معارك عديدة منها اليرموك، واشترك في فتح إفريقية، وهو الذي حمل

البشري إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بفتحها. وكان ﷺ عابدًا لله، قارئًا لكتاب الله، قوامًا لليل، صوامًا للنهار، قال عنه عمرو بن دينار: ما رأيت مصليًا أحسن صلاة من ابن الزبير. وقال ثابت البناني: كنت أمرُّ بابن الزبير وهو خلف المقام يصلي، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك.

قال عمر بن عبد العزيز يومًا لابن أبي مليكة: صف لنا عبد الله بن الزبير فقال: والله ما رأيت نفسًا رُكبت بين جنبين مثل نفسه، ولقد كان يدخل في الصلاة، فيخرج من كل شيء إليها، وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله لا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جدارًا.

واشترك ﷺ مع أبيه في موقعة الجمل، وبعد أن أصبح الحكم في يد بني أمية ظل عبد الله على خلاف معهم، فاعترض على ولاية يزيد بن معاوية. ولما توفي يزيد بايعت جميع الولايات الإسلامية عبدالله بن الزبير أميرًا للمؤمنين، واتخذ عبدالله من مكة عاصمة لدولته، وبسط يده على الحجاز واليمن والبصرة والكوفة والشام كلها ما عدا دمشق، وظل عبدالله باسطًا يده على هذه البلاد حتى استطاع مروان بن الحكم أن ينتزع منه هذه الولايات عدا الحجاز التي ظلت تحت سيطرة عبدالله.

ورغم ذلك لم يهدأ الأمويون، فأخذوا يشنون حروبًا متصلة ضد ابن الزبير، انهزموا في أكثرها حتى جاء عهد عبد الملك بن مروان الذي أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي على رأس جيش كبير لغزو مكة عاصمة ابن الزبير، فحاصرها ستة أشهر مانعًا عن الناس الماء والطعام كي يحملهم على ترك عبد الله بن الزبير، وتحت وطأة الجوع استسلم الكثير من جنوده، ووجد عبد الله نفسه وحيدًا، فقرر

أن يتحمل مسئوليته حتى النهاية، وراح يقاتل جيش الحجاج في شجاعة فائقة، وكان عمره يومئذ سبعين سنة.

وأثناء ذلك ذهب عبد الله إلى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وأخذ يشرح لها موقفه، فقالت له: يا بني، إنك أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وتدعو إلى حق، فاصبر عليه حتى تموت في سبيله، ولا تملك من رقبتك غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت أهلكت نفسك، وأهلكت من قتل معك. فقال عبد الله: والله يا أماه، ما أردت الدنيا، ولا ركنت إليها، وما جُرْتُ في حكم الله أبدًا، ولا ظلمت، ولا غدرت. فقالت أمه أسماء: إني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسنًا، إن سبقتني إلى الله أو سبقتك، اللهم ارحم طول قيامه في الليل، وظمأه في الهواجر، وبرَّه بأبيه وبي، اللهم إني أسلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

وانطلق عبد الله يقاتل الحجاج مع مَنْ تبقَّى معه من المسلمين حتى استشهد ومعه كثير من المسلمين وكان ذلك عام (٣٧هـ). ولما قتل عبد الله كبر أصحاب الحجاج فسمعهم ابن عمر، فقال: أما والله للذين كبروا عند مولده خير من هؤلاء الذين كبروا عند قتله. ثم صلبه الحجاج على إحدى الطرق، فمرَّ به ابن عمر وهو مصلوب فقال: السلام عليك يا أبا خبيب، قالها ثلاث مرات، أما والله، لقد كنت أنهاك عن هذا (يقصد قتال بني أمية)، ثم أخذ يثني عليه ويذكر صيامه وقيامه ومكانته. وجاءت أمه أسماء بنت أبي بكر وكانت عجوزًا مكفوفة البصر، فقالت للحجاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل تقصد عبد الله المصلوب؟ فأنزله، فغسله المسلمون ودفنوه ﷺ.

الصراع على السلطة قتل الأمين في خلافه مع المأمون

لم يكن للأمين نية في خلع أخيه المأمون، فمازالت صورة أبيهما هارون الرشيد تضع لهما حدوداً، إلا أن حاشية الطرفين حاكت لهما المؤامرات والصراعات وبين بيعة هنا وبيعة هناك، وانتشر الفزع والخوف الغلاء، وتصارع الأخوان حتى تم قتل الأمين ليلة ٢٥ محرم سنة ١٩٨ هجرية.

أما بداية الصراع فأسبابه عندما اتبعت الدولة العباسية منذ قيامها نظامًا أدى في نهاية الأمر إلى تفرق الكلمة وكثرة الصراعات وضعف دولة الخلافة العباسية، على الرغم من طول مدتها، ألا وهو نظام البيعة لأكثر من ولي للعهد متعاقبين، فالخليفة العباسى الأول "السفاح" أوصى لأخيه أبي جعفر المنصور ومن بعده لعيسى بن موسى ابن عمه، فلما ولي أبو جعفر أجبر عيسى على أن يخلع نفسه، وبايع لابنه المهدي، ثم كرر المهدي الخطأ نفسه، وعهد للأمر من بعده لولده الهادي ومن بعده لولده الثاني الرشيد، فلما ولي الهادي حاول خلع أخيه الرشيد فلم يسعفه الأجل ومات قبل ذلك، فلما ولي الرشيد ارتكب الخطأ نفسه ولكن بصورة أشد، أدت لحصول هذه المأساة؛ حيث جعل ولاية العهد لابنه الأمين رغم أنه أصغر من المأمون، لمحبته لزبيدة أم الأمين، ولما أحس بخطئه أحب أن يعالجه؛ فزاد الطين بلة، حيث أعطى للمأمون امتيازات تجعله مستقلاً تمامًا عن أخيه الأمين، ثم إنه لم يقتصر على ذلك، بل أضاف إليهما أخًا ثالثًا، هو القاسم، وأعطاه امتيازات الجزيرة وأرمينية، كل ذلك أدى لاشتعال نار الخلاف بين الإخوة، وهو ما حدث بالفعل بين الأمين والمأمون.

لما مات الخليفة هارون الرشيد، قام على أمر بيعة الأمين حاجب الرشيد الفضل بن الربيع، فبايعه الناس والقواد ومعظم الجيش، وثقل ذلك على المأمون جدًا، ولكنه دخل في بيعة أخيه على دغل عنده، وكان وزير المأمون والمقدم عنده هو الفضل بن سهل، وهو الذي زين له أمر البيعة لنفسه، ولكن أمره بالتمهل، وألا يقدم على أخيه في بغداد.

كان الفضل بن الربيع مستوليا على الأمين؛ فهو الذي قام بأمر بيعته يكره المأمون جدًا، ويرى أن المأمون لو صار يومًا خليفة لذهب جاهه وسلطانه ونفوذه الذي بناه عبر السنين منذ أيام الرشيد، لذلك زين للأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وعقد الولاية بالعهد لابنه موسى بن الأمين، ولم يكن للأمين نية في خلع أخيه المأمون، ولكن الفضل بن الربيع ظل وراءه حتى قطع الخطبة لأخيه، وأزال اسمه من السكك والمناشير، وكان ذلك إيذانًا بالمجاهرة بالعداوة والخلاف، وبداية لحروب وأهوال طويلة بين المسلمين، أثرت فيما بعد في أحوالهم ومستقبلهم.

أعد المأمون جيشًا كبيرًا من أهل خراسان، وجعل قيادته للداهية طاهر بن الحسين، وأحسن تدبير الأمور جدًا، فحين أعد أخاه الأمين جيشًا لمحاربة أخيه في خراسان بقيادة على بن عيسى بن ماهان، وكان ذلك اختيارًا غير موفق بالمرة، وذلك لأن على بن عيسى هذا كان واليا على خراسان أيام الرشيد وأساء السيرة منهم جدًا، وأيضًا كان مغرورًا ومتكبرًا لأقصي درجة، غير مبالٍ ولا يكترث بطاهر ومن معه، وهذا أدى في النهاية لهزيمة جيش الأمين، وقتل قائده على بن عيسى، مما قوى جانب المأمون على الأمين، ثم أرسل الأمين جيشًا آخر بقيادة عبدالرحمن بن جبلة، فهزم أيضًا، وقتل قائده، فاضطربت الأمور على الأمين.

مما زاد موقف الأمين صعوبة، هو حدوث فتنة عصيبة في صفوف جنود الشام الذين قدموا لنصرته، مما أدى لتفرقهم عنه، بل تطور الأمر أكثر من ذلك، فدخل بعض قادة جند الشام، وهو الحسين بن علي، فخلع الأمين وبايع للمأمون، ولكنه ما لبث أن قُتل، وازدادت الأمور اضطرابًا، وفي الوقت نفسه كانت جيوش المأمون سامعة مطيعة في غاية النظام .

ثم حدث أن بايع أهل مكة والمدينة المأمون، وخلعوا الأمين لما رأوا منه من نكصان للعهد السابق لأخيه، ولما رأوا منه من لهو ولعب واشتغال بالباطل عن أمر الخلافة، في حين أن المأمون كان يجالس العلماء والفقهاء والأدباء

بدأت الجيوش تفد من كل الاتجاهات لحصار بغداد وإرغام الأمين على التنازل لأخيه، وشُدد الحصار على بغداد حتى أصاب الخراب معظم ديارها، وانتشر الفزع والخوف والغلاء والمجاعة في بغداد، واجتهد الأمين في المصابرة ودفع الجيوش، ولكن الناس انفضت من حوله، فلما يئس من أمره حاول أن يستأمن لنفسه عند أخيه المأمون، وذلك عن طريق القائد هرثمة بن أعين، فلما أحس القائد الآخر . وهو طاهر بن الحسين . بالأمر، خشي أن يفوته الشرف والمكانة، وتضيع جهوده السابقة كلها وتنسب لهرثمة، فأمر بالاحتياط على الأمين، ثم أمر بعض جنوده من الأتراك غير العرب بقتل الأمين، فدخلوا عليه ليلة الأحد ٢٥ محرم سنة ١٩٨ هـ، وقتلوه بالسيوف، ثم احتزوا رأسه ونصب رأسه على رمح، ثم دخل طاهر بن الحسين بغداد، وخطب الناس خطبة بليغة مهدت الأمور للمأمون، وبتلك الفعلة الشنيعة انتهت فصول هذه المأساة التي لم تقف عند هذا الحد، بل كانت فاتحة لسلسلة طويلة من الخلع والخلاف بين الخفاء

وولاة العهود، وسنة سيئة، وضع لبنتها الأولى الأمين والمأمون، ودفعت الأمة الإسلامية ثمنها عبر العصور اللاحقة.

شهيد صفين

الطيب المطيب عمار بن ياسر

حين وقع الخطر ونشبت الفتنة، كان عمار بن ياسر وسمية يعرف مكانه فوقف يوم صفين حاملا سيفه وهو ابن الثالثة والتسعين ليناصر به حقا من يؤمن بوجوب مناصرته، وهو الرجل دائم الصمت قليل الكلام ولا يكاد يحرك شفتيه خاصة بعد وفاة رسول الله بدعائه عائذاً بالله من فتنة، وأثناء المعركة كان يندفع كالقذيفة صوب معاوية ومن حوله من الأمويين ويصيح صياحا مدويا.

لقد حفر نباكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله وقتل على يد الفئة الباغية كما تنبأ له رسول الله ﷺإنه عمَّار بن ياسر –ﷺ، كان هو وأبوه ياسر وأمه سمية بنت خياط من أوائل الذين دخلوا في الإسلام، وكان أبوه قد قدم من اليمن، واستقر بمكة، ولما علم المشركون بإسلام هذه الأسرة أخذوهم وعذبوهم عذابًا شديدًا، فمر عليهم الرسول وقال لهم: (صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة) الطبراني والحاكم.

وطعن أبو جهل السيدة سمية فماتت، لتكون أول شهيدة في الإسلام، ثم يلحق بها زوجها ياسر، وبقي عمار يعاني العذاب الشديد، فكانوا يضعون رأسه في الماء، ويضربونه بالسياط، ويحرقونه بالنار، فمرَّ عليه الرسول ووضع يده

الشريفة على رأسه وقال: (يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كنت بردًا وسلامًا على إبراهيم) ابن سعد.

وذات يوم، لقي عمار النبي وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه ويقول له: (أخذك الكفار فغطوك في النار)، واستمر المشركون في تعذيب عمار، ولم يتركوه حتى ذكر آلهتهم وأصنامهم بخير، وعندها تركوه، فذهب مسرعًا إلى النبي، فقال له النبي: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول الله، والله ما تركت حتى نلت منك (أي ذكرتك بسوء) وذكرت آلهتهم بخير، فقال له النبي.

(فكيف تجدك؟)، قال: مطمئن بالإيمان، قال: (فإن عادوا فعد) ابن سعد والحاكم. ونزل فيه قول الله تعالى: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان (النحل: ١٠٦).

وهاجر عمار إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشارك مع النبي في جميع الغزوات، حتى إنه قال ذات يوم: قاتلت مع رسول الله (الجن والإنس) فسأله الصحابة: وكيف؟ فقال: كنا مع النبي، فنزلنا منزلاً، فأخذت قربتي ودلوي لأستقي، فقال: (أما إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه)، فلما كنت على رأس البئر إذا برجل أسود، فقال: والله لا تستقي اليوم منها، فأخذني وأخذته (تشاجرنا) فصرعته ثم أخذت حجرًا، فكسرت وجهه وأنفه، ثم ملأت قربتي وأتيت رسول الله فقال: (هل أتاك على الماء أحد؟) قلت: نعم، فقصصت عليه القصة فقال: (أتدري من هو؟)، قلت: لا، قال: (ذاك الشيطان).

وذات يوم استأذن عمار –ﷺ– الرسول ليدخل فقال: (من هذا؟) قال: عمار، فقال (مرحبًا بالطيب المطيب) الترمذي والحاكم.

وذات يوم حدث بين عمار وخالد بن الوليد كلام، فأغلظ خالد لعمار، فشكاه إلى النبي، فقال: من عادى عمارًا عاداه الله، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله النسائي وأحمد، فخرج خالد من عند الرسول وما من شيء أحب إليه من رضا عمار، وكلمه حتى ﷺ.

وقال النبي: "إن عمارًا مُليء إيمانًا إلى مشاشه أي إلى آخر جزء فيه) النسائي والحاكم .وأمر النبي المسلمين أن يتبعوا عمارًا ويقتدوا به، فقال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد (عبد الله ابن مسعود) رواه أحمد.

وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إن الله قد أمننا من أن يظلمنا، ولم يؤمنا من أن يفتنا، أرأيت إن أدركت الفتنة؟ قال: عليك بكتاب الله، قال: أرأيت إن كان كلهم يدعو إلى كتاب الله؟ قال: سمعت رسول الله يقول (إذا اختلف الناس كان ابن سمية (عمار) مع الحق الحاكم).

وبعد وفاة النبي، اشترك عمار مع الصديق أبي بكر –ﷺ– في محاربة المرتدين، وأظهر شجاعة فائقة في معركة اليمامة حتى قال ابن عمر –ﷺ– في شجاعته: رأيت عمار بن ياسر –ﷺ– يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر، هلمَّ إلي، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب (تتحرك) وهو يقاتل أشد القتال.

وبعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة، ولي عمارًا على الكوفة ومعه عبد الله بن مسعود وبعث بكتاب إلى أهلها يقول لهم فيه: أما بعد، فإني بعثت إليكم

عمار بن ياسر أميرًا وابن مسعود معلمًا ووزيرًا، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد، من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما. وكان عمار متواضعًا زاهدًا سمحًا كريمًا فقد سبَّه رجل وعيره ذات مرة بأذنه التي قطعت في سبيل الله، وقال له: أيها الأجدع، فقال لها عمار: خير أذني سببت، فإنها أصيبت مع رسول الله. وكان يقول: ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الإيمان: الإنفاق في الإقتار، والإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم.

وفي يوم صفين كان عمار في جيش علي، وقبل بداية المعركة شعر عمار بالعطش، فإذا بامرأة تأتيه وفي يدها إناء فيه لبن فشرب منه، وتذكر قول الرسول له: (آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن) رواه أحمد، ثم قال في جموع المقاتلين: الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنة، وقد فتحت أبواب الجنة، وتزينت الحور العين، اليوم ألقي الأحبة محمدًا وحزبه (أصحابه) ثم تقدم للقتال فاستشهد سنة (٣٧هـ)، وكان عمره آنذاك (٩٣) سنة، ودفنه الإمام علي، وصلى عليه.

الفاروق عمر

يحمد الله بمنيته على يد المجوس

دبر هذه الواقعة المجوس والنصارى، وانفرد بتنفيذها أبو لؤلؤة المجوسي وهو من قوم أشربوا في قلوبهم حب الغدر والتآمر ومردوا على الفوضى، فقد اندحر الباطل ممثلا بالجيش الفارسي الجرار أمام الجيش الإسلامي الذي يرفع ألوية الحق خفاقة لا تقهر، وتهاوت حصون الجبابرة أمام الذين رفعهم الاسلام فصاروا سادة الدنيا بعد أن كانوا للأوثان عبيدا لا يطمعون أن يكونوا خدما لخيول كسرى وأدبر "رستم" و"الهرمزان" يسعيان إفسادا وكيدا.

أما رستم فقد لقي حتفه، وأما الهرمزان فكان وأمثاله يتمنون أن تبتلعهم الأرض لينجو من أيدي المسلمين وليس من سبيل أمام معظم الفرس المغلوبين إلا أن يتظاهروا الدخول في الإسلام، لكنه استسلام وليس إيماناً بالسلام، استسلام من يعتقد أنها عاصفة لا بد أن تمر، ولا بد أن يحني لها رأسه ثم يعود ليرفعها من جديد، وقلة قليلة منهم هم الذين حسن إسلامهم واستقاموا على منهج الله.

وبدأت محاولات المجوس في الانتقام من المسلمين، وكيف لا يكون الأمر كذلك وهم الذين أشربوا حب الغدر والتآمر، ومردوا على الكيد والفوضى وكانوا يعلمون علم اليقين أن الفاروق عمر بن الخطاب وراء فتح بلادهم وزوال ملكهم، فكان اغتياله باكورة حربهم لهذا الدين وحملته بدأت مؤامرة اغتيال

الفاروق بتسلل أبي لؤلؤة المجوسي والهرمزان إلى مدينة الرسول ﷺ واتخاذها موطنا لهما، وكان عمر بن الخطاب لا يحب أن يكثر الفرس والروم في المدينة وفي عام ٢٣من الهجرة، وبينما كان آخر حصون فارس تتهاوى أمام الفتح الإسلامي أقدم أبو لؤلؤة المجوسي على طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخنجر مسموم كان قد صنعه لهذا الغرض.

روي ابن جرير أن عبد الرحمن بن أبي بكر قد رأى _ غداة طعن عمر _ أبا لؤلؤة والهرمزان "وجفينة" يتناجون، ولما رأوا عبد الرحمن سقط منهم خنجر له رأسان، وهذه الشهادة هي التي جعلت عبيد الله بن عمر يتسرع فيشتمل على سيفه فيقتل به الهرمزان، ويهم بقتل جفينة لولا تدخل عمرو بن العاص، وقال عمر لابنه عبد الله: اخرج فانظر من قتلني؟!

فقال: يا أمير المؤمنين قتلك لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة.

فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة وإذن فاغتيال عمر بن الخطاب مؤامرة اشترك في تدبيرها المجوس والنصارى، وانفرد بتنفيذها أبو لؤلؤة المجوسي، واختاروا عمر بالذات، لأنه غرة في جبين الدهر، فبه أعز الله الاسلام وأذل المشركين والمجوس.

واستمر الرافضة المجوس في حرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد وفاته، ومن منهجهم في التشيع شتم عمر، وما ذلك إلا لأنه طهر الأرض من ظلمهم، وأطفأ بيوت نارهم.

علي بن أبي طالب
الفدائي الأول الذي أحبه الله ورسوله

نام في فراش الرسول ﷺ وسخر من المشركين الذي هموا بقتله وشهد مع النبي جميع غزواته وفي آخر خلافته كانت الفتنة الكبرى، وتواعد ثلاثة من الخوارج على قتله، وانتظره الفاسق عبدالرحمن بن ملجم وهو خارج إلى صلاة الفجر، وأصابه في رأسه إصابة بالغة ليلقى وجه ربه ويدفن بالكوفة.

إنه الصحابي الجليل على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﷺ وأرضاه وابن عم رسول الله، أبوه هو أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب، وأمه السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم –ﷺ.

ولد على –ﷺ– قبل بعثة النبي بعشر سنين، وكان أصغر إخوته، وتربى في بيت النبي، ولما نزل الوحي على رسول الله دعا عليا إلى الإيمان بالله وحده، فأسرع –ﷺ – بقبول الدعوة، ودخل في دين الله، فكان أول من أسلم من الصبيان.

ولما رآه أبو طالب يصلي مع رسول الله قال له: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال علي: يا أبي، آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فقال أبو طالب: أما إنه لم يدْعُك إلا لخير، فالزمه.

وكان رسول الله يحب عليا، ويثني عليه، فكان يقول له: "أنت مني وأنا منك"، وكان يقول له: "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق"، وعندما أراد الرسول الهجرة إلى المدينة، أمر على بن أبي طالب أن ينام في فراشه، وفي ليلة الهجرة في جنح الظلام، تسلل مجموعة من كفار مكة، وفي يد كل واحد منهم سيف صارم حاد، وقفوا أمام باب بيت النبي ينتظرون خروجه لصلاة الفجر، ليضربوه ضربة رجل واحد، فأخبر الله نبيه بتلك المؤامرة، وأمره بالخروج من بينهم، فخرج النبي وقد أعمى الله أبصار المشركين، فألقى النبي التراب على رءوسهم وهو يقرأ قول الله تعالى: "وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون"، يس: ٩.

ولما طلعت الشمس؛ استيقظ المشركون، وهجموا على البيت، ورفعوا سيوفهم، ليضربوا النائم، فإذا بهم لا يجدونه رسول الله، وإنما هو ابن عمه على بن أبي طالب، الذي هب واقفًا في جرأة ساخرًا من المشركين، ومحقرًا لشأنهم، وظل على في مكة ثلاثة أيام بعد هجرة رسول الله إلى المدينة لكي يرد الودائع، كما أمره رسول الله، ولما هاجر وجد النبي قد آخى بين المهاجرين والأنصار، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال له رسول الله: "أنت أخي في الدنيا والآخرة".

وقد بشره رسول الله بالجنة، فكان أحد العشرة المبشرين بها، وقد زوجه رسول الله من ابنته فاطمة –ﷺ–، وقدم على لها مهرًا لسيدة نساء العالمين وريحانة الرسول .وعاش على – ﷺ– مع زوجته فاطمة في أمان ووفاق ومحبة، ورزقه الله منها الحسن والحسين.

وذات يوم ذهب رسول الله إلى دار علم فلم يجده، فسأل عنه زوجته فاطمة الزهراء: "أين ابن عمك"؟ فقالت: في المسجد، فذهب إليه الرسول هناك، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وأصابه التراب فجعل الرسول يمسح التراب عن ظهره، ويقول له: "اجلس يا أبا تراب.. اجلس يا أبا تراب" البخاري. وشهد على مع النبي جميع الغزوات، وعرف بشجاعته وبطولته، وفي يوم خيبر قال النبي: "لأعطين الراية غدًا رجلا يحبه الله ورسوله أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه" (البخاري).

فبات الصحابة كل منهم يتمني أن يكون هو صاحب الراية، فلما أصبح الصباح، سأل النبي عن علي، فقيل له: إنه يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: "فأرسلوا إليه، فأتوني به". فلما جاء له، تفل في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلتم حتى يكونوا مثلنا: "أنفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" ففتح الله على يديه، ولما نزل قول الله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا" (الأحزاب: ٣٢)، دعا الرسول فاطمة وعليا والحسن والحسين – رضي الله عنهم – في بيت السيدة أم سلمة، وقال: "اللهمَّ إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"، وعرف على –ﷺ– بالعلم الواسع، فكانت السيدة عائشة –ﷺ– إذا سئلت عن شيء قالت: اسألوا عليا وكان عمر كذلك، وكان على يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وكان أبو بكر وعمر في خلافتيهما بعد وفاة رسول الله يعرفان لعلي الفضل، وقد اختاره عمر ليكون من

الستة أصحاب الشوري الذين يختار منهم الخليفة، ولما استشهد عثمان – رضي الله عنه– اختير على ليكون الخليفة من بعده.

ولما تولى علي الخلافة نقل مقرها من المدينة إلى العراق، وكان –ﷺ– يحرص على شئون أمته فيسير بنفسه في الأسواق ومعه درعه وعصاه ويأمر الناس بتقوي الله، وصدق الحديث، وحسن البيع، والوفاء بالكيل والميزان، وكان يوزع كل ما يدخل بيت المال من الأموال بين المسلمين، وقبل وفاته أمر بتوزيع كل المال، وبعد توزيعه أمر بكنس بيت المال، ثم قام فصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة، وكان –ﷺ– كثير العبادة، يقوم من الليل فيصلي ويطيل صلاته، ويقول مالي وللدنيا، يا دنيا غرّي غيري، وقد جاءت إليه امرأتان تسألانه، إحداهما عربية والأخرى مولاة، فأمر لكل واحدة منهما بكسر من طعام وأربعين درهمًا، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين، تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ فقال لها على –ﷺ– إني نظرت في كتاب الله – عز وجل– فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق – عليهما الصلاة والسلام، وفي آخر خلافة على –ﷺ – كانت الفتنة قد كبرت، وسادت الفوضي أرجاء واسعة من الدولة الإسلامية، فخرج ثلاثة من شباب الخوارج، وتواعدوا على قتل من ظنوا أنهم السبب المباشر في تلك الفتن وهم علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فأما معاوية وعمرو فقد نجيا، وأما علي فقد انتظره الفاسق عبد الرحمن بن ملجم، وهو خارج إلى صلاة الفجر، فتمكن منه، وأصابه في رأسه إصابة بالغة أشرف منها على الموت، وكان ذلك في سنة ٤٠ هـ، وعمره آنذاك ٦٥ سنة.

ودفن بالكوفة بعد أن ظل خليفة للمسلمين خمس سنين إلا أربعة أشهر، وروي عن رسول الله أكثر من أربعمائة حديث، فرضي الله عنه وأرضاه.

إيذاء المشركين لرسول الله ﷺ

كان أكثر المشركين إيذاء للنبي ﷺ وعمرو بن هشام وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وعقبة ابن أبي معيط الذي وضع أمعاء ودم الماعز على كتفي النبي وهو ساجد، والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وجميلة زوجة أبو لهب.

لم يكتف المشركون بمخالفة رسول الله ﷺوآله وسلم، وإيذائه بألسنتهم الخبيثة واتهامه بالسحر والجنون، وبما كانوا يلقونه على مسامعه من كلام مقذع، بل حاولوا المكيدة له، ﷺ وآله وسلم، للتخلص منه، على الرغم من أن أبا طالب، كان يحاول جاهدا أن يمنع الأذى عن ابن أخيه، ويحميه من غدرهم، يسانده في ذلك قومه من بني هاشم وبني عبد المطلب. ومن صور الإيذاء التي تعرض لها رسول الرحمة والإنسانية، التي لم تزعزع من إيمانه ولم تثبط من عزيمته، بل مضي غير عابئ بالأهوال والمصاعب، يدعو قومه إلى الإيمان وإلى خيرهم في الدنيا والآخرة، ﷺوآله وسلم .

فبينما كان رسول الله ﷺوآله وسلم عند الكعبة يصلي، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائلهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى هذا الجزور فيعمد إلى أمعائها ودمها فيجيء بها ثم يمهله حتى إذا سجد وضع ذلك بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم عقبة بن أبي معيط، فأتي النبي، ﷺوآله وسلم، وهو ساجد فوضع هذه الأقذار بين كتفيه. أما الرسول، ﷺ وآله وسلم، فقد ثبت على سجوده، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض، وأخبرت فاطمة ابنته فجاءت

تسعي حتى وصلت إليه، فألقت الأقذار عليهم وبدأت تسبهم، فلما انتهى من صلاته، صلى الله عليه وآله وسلم قال: "اللهم عليك بقريش" ثم سمى رجالها فقال: " اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد". وقد سقط هؤلاء جميعهم صرعى يوم بدر. ومن صور التهكم والسخرية برسول الله ﷺ وآله وسلم، وبما جاء به، قول عبد العزى بن عبد المطلب المعروف بأبي لهب: يعدني محمد أشياء لا أراها، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فماذا وضع في يدي بعد ذلك، ثم ينفخ في يديه ويقول: تبا لكما، ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: "تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد"، صدق الله العظيم.

أما امرأته (زوجة أبولهب) فلم تكن بأقل من زوجها غيظا على الرسول الكريم، ﷺوآله وسلم، فقد سماها الله سبحانه وتعالي: حمالة الحطب، لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ وآله وسلم حيث يمر، وعندما سمعت أم جميل: حمالة الحطب، بما أنزل الله سبحانه وتعالى فيها وفي زوجها من القرآن الكريم، أتت رسول الله ﷺوآله وسلم، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، ﷺ، وفي يدها حجر يملأ كفها، فلما دنت منهما أخذ الله عز وجل ببصرها عن رسول الله ﷺوآله وسلم، فلم تر إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه ثم انصرفت، فقال أبو بكر، ﷺ: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال رسول الله ﷺوآله وسلم: "ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني"، كذلك كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله، ﷺوآله وسلم همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه:

"ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة".

أما العاص بن وائل السهمي، فقد كان يسخر من رسول الله ﷺ وآله وسلم، ومما وعده ووعد المسلمين من جنات النعيم، وحدث أن العاص هذا، اشترى من صاحب رسول الله ﷺوآله وسلم: خباب بن الأرت سيوفا عملها له، فجاءه خباب يطلب منه ثمن السيوف فقال له: يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه، أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب، أو فضة، أو ثياب، أو خدم؟ قال خباب: بلي. فقال العاص: فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأعيد هناك حقك، فو الله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظا في ذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: "أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا، أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا"، أما أبو جهل ابن هشام، فقد لقي رسول الله ﷺ وآله وسلم، فقال له: والله يا محمد، لتتركن سب آلهتنا، أو لنسبن إلهك الذي تعبد فأنزل تعالي فيه:

"ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله عدوا بغير علم"، فكف رسول الله ﷺ وآله وسلم، عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل.

فقد مضى ﷺ وآله وسلم، غير يائس يدعو أهله وعشيرته إلى الله عز وجل. فها هو النضر بن الحارث كان إذا جلس رسول الله ﷺ وآله وسلم، مجلسا ودعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن، وحذر فيه قريشا ما أصاب الأمم الخالية، خلفه

في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم وأسفنديار ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين، اكتتبها . فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما".

كما نزل فيه: "ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم".

وكان رسول الله ﷺ وآله وسلم في مجلس يحاور عددا من المشركين بينهم الوليد بن المغيرة والنضر بن حارث فأفحمهم جميعا وغلبهم في الحوار، ثم تلا عليهم قوله تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون"، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأقبل عبد الله ابن الزبعري حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعري: والله ما استطاع النضر بن الحارث أن يفحم ابن عبد المطلب، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا، أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيرا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم – عليهما السلام – فعجب الوليد، ومن كان معه في المجلس كيف فاتتهم هذه الفكرة، ورأوا أنها حجة دامغة، فنذكر ذلك لرسول الله ﷺ وآله وسلم، فقال: "إن كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين"، فأنزل الله سبحانه وتعالى: "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون".

وقد حسد المشركون، رسول الله ﷺ وآله وسلم، حسدا عظيما فهذا الوليد بن المغيرة يقول: أينزل القرآن على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها؟!. ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين! فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم".

وبينما كان رسول الله ﷺوآله وسلم، يطوف بالكعبة، إذ اعترضه الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيهم: "قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين".

وجهاء قريش وتعذيب المستضعفين

من أشهر شهر المستضعفين في الأرض عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أول من جهر بالقرآن ويشاء الله السميع العليم أن يقتص عبدالله بن مسعود من أبي جهل ومن الذين صبروا على البلاء والتعذيب بلال بن رباح الحبشي وخباب بن الأرت وعامر بن فهيرة وصهيب الرومي وكثير من النساء، وجمعيهم هم الذين كانوا من المستضعفين السابقين الذين نالهم عذاب قريش.

لا لشيء إلا لأنهم قالوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، هؤلاء لم تكن لهم عشائر تحميهم، وليست لهم قوة يمنعون بها أذى المشركين، لذلك وثبت كل قبيلة على من فيها منهم، فجعلت تحبسهم وتضربهم، وتمنع عنهم الطعام والشراب وتصليهم النار، وتجعل بعضهم على الرمضاء، ومع ذلك فقد استقر الإيمان في قلوبهم ومن هؤلاء المستضعفين: عبد الله بن مسعود، ﷺ: الذي كان أول من جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله ﷺوآله وسلم، فقد اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺوآله وسلم، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فهل من رجل يقوم بهذه المهمة؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا . فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة، يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله سيمنعني. فقام ابن مسعود حتى أتى المشركين في الضحي، وبدأ يقرأ بصوت مرتفع الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان فسمع المشركون وتأملوه وجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض

ما جاء به محمد، فقاموا إليه وجعلوا يضربونه على وجهه وهو يقرأ دون توقف، إلى أن جاء أبو جهل فلطمه فشق أذنه وأدماه، فانصرف عبد الله وعينه تدمع. فلما رآه الرسول الكريم، صلى الله عليه وآله وسلم، رق قلبه، وأطرق رأسه مغموما، فإذا جبريل قد جاء ضاحكا. فقال له: "يا جبريل أتضحك وابن مسعود يبكي؟" فقال جبريل: الأذن بالأذن والرأس زيادة. وفي بدر ذبح عبد الله بن مسعود أبا جهل وقطع أذنه وأخذها إلى رسول الله ﷺ وآله وسلم. الذي يقول عنه: من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأه على ابن أم عبد ورغم الوحشية التي عوملوا بها، ظل قلبهم العامر بالإيمان يخفق بذكر الله سبحانه وتعالى: بلال بن رباح الحبشي وأمه حمامة: الذي كان عبدا لأمية بن خلف الجمحي، والذي كان يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على ظهره وصدره ويقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تترك هذا الدين الذي جاء به صاحبك وتعبد اللات والعزى فيقول بلال، رضي الله عنه: أحد، أحد . إلى أن مر به يوما أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وهو يعذب فقال: ألا تتقي الله في هذا المسكين. فقال أمية: أنت أفسدته فأنقذه. ووجدها أبو بكر، فرصة سانحة فاشتراه منه وأطلق سراحه، وبلال، رضي الله عنه، أول من أسلم من العبيد إذ هاجر إلى المدينة وشهد بدرا وقتل سيده أمية بن خلف.

أما خباب بن الأرت: فقد أسلم بعد سبعة رجال، وناله العذاب الشديد كما نال غيره من المؤمنين الصابرين، فكان المشركون يجردونه من ثيابه ويلقونه فوق الرمال المحرقة، أو يضعون فوقه الحجارة المحماة بالنار، دون أن يجيبهم إلى ما يريدونه، إلى أن افتدي نفسه من سيده، سباع بن عبد العزى. ومن هؤلاء المؤمنين الأوائل: صعيب بن سنان المعروف بالرومي، وذلك أن الروم أسروه صغيرا ثم باعوه فنسب إليهم، وكان يعذب في الله عذابا شديدا بعد إسلامه، ولما أراد

الهجرة إلى المدينة، منعته قريش، فافتدى نفسه بماله كله، فرارا بدينه ومحبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم أيضا: عامر بن فهيرة الذي كان مستضعفا يعذب في الله، فلم يرجع عن دينه، إلى أن اشتراه أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فأعتقه، ولما هاجر النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه، كان عامر معهما يحاول إخفاء آثار أقدامهما بالغنم الذي كان يرعاه . وفي معركة "بئر معونة". استشهد عامر فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: فزت ورب الكعبة. ومنهم أيضا: أبو فكيهة واسمه أفلح، كان عبدا لصفوان بن أمية بن خلف، أسلم مع بلال، فأخذه أمية بن خلف وربط في رجله حبلا وجره حتى ألقاه فوق الرمال التي تتلظي نارا، ومر به حيوان يدعى "جعل"، فقال له أمية ساخرا: أليس هذا ربك؟. فقال أبو فكيهة: الله ربي وربك ورب هذا، فخنقه خنقا شديدا، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول له: زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره، ومر به أبو بكر، ﷺ، فاشتراه وأعتقه، وحتى النساء لم تفلت من أذى المشركين وتعذيبهم ومن بين هؤلاء اللواتي صمدن رغم العذاب الشديد امرأة يقال لها: زنيرة، فقد عذبت حتى عميت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى قد فعلا بك ذلك، فقالت: إن اللات والعزى لا يدريان من يعبدهما، ولكن هذه إرادة الله عز وجل، وإن شاء رد بصري، فلما أصبحت زنيرة رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا سحر من محمد، ثم اشتراها أبو بكر رضي الله عنه، فأعتقها، وفيها وفي أمثالها يقول أبو جهل: ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم، لو كان ما أتى به محمد خيرا ما سبقونا إليه أفتسبقنا زنيرة إلى رشد فأنزل الله تعالى ردا على قوله.

خالد بن سعيد

والي اليمن يستشهد في أجنادين بالشام

كان من أوائل من خرجوا إلى الحبشة وشارك في فتح مكة وحنين والطائف وتبوك ولم يترك رسول الله قط وعينه الرسول والياً على اليمن كما أمر أشقاءه على الولايات، وعندما مات رسول الله عاد وهو يقول نحن بنو أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله، وذهب إلى الشام وشارك في حروب المسلمين كمجاهد حتى استشهد في معركة أجنادين.

إنه خالد بن سعيد بن العاص –ﷺ– أسلم مبكرًا، فلم يكن قد سبقه إلى الإسلام سوى ثلاثة أو أربعة، وقيل إنه أسلم مع أبي بكر الصديق –ﷺ، ويروى في إسلامه أنه قام مفزوعًا من نومه ذات يوم، وهو يقول: أحلف بالله إنها لرؤيا حق. فلقي أبا بكر الصديق ﷺ، فقال: إني رأيت في منامي أني واقف على شفير نار عظيمة، وأبي يدفعني نحوها، ورسول الله يمنعني من أن أقع فيها، ويجذبني من ملابسي بيده اليمنى المباركة. فقال له أبو بكر –ﷺ: إنه لخير أريد لك، هذا رسول الله فاتبعه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها، وأبوك واقع فيها. وانطلق خالد يبحث عن الرسول حتى وجده عند جبل بمكة يسمى أجياد، ثم سأله: يا محمد، إلى من تدعو؟ فقال الرسول: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتخلع (تترك) ما أنت عليه من عبادة حجر

لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري من عَبَده ممن لم يعبده. البيهقي والحاكم.

فقال خالد: فإني أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، ففرح الرسول بإسلامه. ولما علم أبوه سعيد بن العاص بإسلامه، أرسل إليه أحد إخوته، ولم يكونوا أسلموا بعد، فجاء خالد ووقف أمام والده، فأخذ أبوه يشتمه، ويسبه، ويضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: اتبعت محمدًا وأصحابه، وأنت ترى خلافه مع قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم، وعيب من مضي من آبائهم!! فقال خالد: نعم تبعته على ما جاء به، فصاح أبوه فيه قائلا: اذهب يا أحمق حيث شئت، فوالله لأمنعنك القوت (أي الطعام)، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، ثم طرده أبوه من بيته، وقال لإخوته: لا يكلمه أحد منكم وإلا صنعت به ما صنعت بهذا اللئيم. وغادر خالد دار أبيه بكل ما فيها من نعيم، وذهب إلى الرسول، وظل معه، يعيش بجواره، وينهل من علمه وفضله.

وعندما أمر رسول الله أصحابه بالهجرة الثانية إلى الحبشة، كان خالد من أوائل من خرجوا إليها، ومكث هناك ما شاء الله له أن يمكث، ورزقه الله بابنه سعيد وابنته أم خالد.

ثم يعود خالد مع إخوانه إلى المدينة بعد فتح خيبر، ويقيم بجوار رسول الله ويشاركه في فتح مكة وحنين والطائف، وتبوك، لا يتخلف عن غزوة، ولا يتقاعس عن جهاد، ثم بعثه الرسول واليا على اليمن.

وشاء الله تعالى أن يهدي إخوته إلى الإسلام، فأسلموا جميعًا، وشاركوا الرسول غزواته، ثم جعلهم أمراء على بعض الإمارات، ولما توفي الرسول ترك خالد وإخوته الإمارات، ورجعوا إلى المدينة، فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم، ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله، ارجعوا إلى أعمالكم.

فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة (لقب لأبيهم) لا نعمل لأحد بعد رسول الله أبدًا. ثم ذهبوا إلى الشام يجاهدون في سبيل الله حتى قتلوا جميعًا هناك.

وقد قيل: ما فتحت بالشام بلدة إلا وجد فيها رجل من بني سعيد بن العاص ميتًا. وكان خالد –رضي الله عنه– شديد الحب لله ولرسوله حتى إن أباه سعيد بن العاص مرض ذات يوم، فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا، لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة أبدًا يقصد بابن أبي كبشة رسول الله.

فلما سمع خالد ما يقوله أبوه قال: اللهم لا ترفعه. فمات أبوه في مرضه ذلك. واستشهد خالد بن سعيد –رضي الله عنه– في معركة أجنادين في جمادى الأولى سنة (١٣ هـ) قبل وفاة أبي بكر، وقيل: استشهد في معركة مرج الصفر سنة (١٤هـ) في بداية خلافة عمر –رضي الله عنه.

درع الرسول

أبو دجانة الأنصاري

كان ممن صمد في معركة أحد وقاتل فيها المشركين وأمعن في قتلهم، وكان يدافع عن رسول الله، وقد كثرت فيه الجراح أثناء المعركة وشهد باقي الغزوات ثم اشترك في حروب الردة في جيش خالد بن الوليد لمحاربة المرتدين في اليمامة، وبعد أن قاتل مسيلمة الكذاب استشهد في المعركة في خلافة أبي بكر الصديق.

إنه الصحابي الجليل أبو دجانة الأنصاري، واسمه سِمَاك بن أوس بن خرشة، أسلم وآمن بالله ورسوله وقد آخى الرسول بينه وبين عتبة بن غزوان، وكان شديد الحب لله ولرسوله كثير العبادة، اشترك في غزوة بدر وحضر المعارك مع رسول الله، وأبلى فيها بلاء حسنًا.

وقف يوم أحد إلى جانب فرسان المسلمين، يستمع إلى رسول الله وهو يعرض عليهم سيفه، قائلا: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا ..أنا، فقال رسول الله: (فمن يأخذه بحقه؟)، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، فأخذه أبو دجانة، ففلق به هام المشركين (أي شق رءوسهم)، رواه مسلم.

وأخذ أبو دجانة عصابته الحمراء وتعصب بها، فقال الأنصار من قومه: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، ثم نزل ساحة المعركة، وهو ينشد:

أَنَا الذي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَي النَّخِيلِ

أَنْ لا أُقِيمَ الدَّهرَ في الكبُولِ أَضْرِبُ بِسَيفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وأخذ يقتل المشركين، ويفلق رءوسهم بسيف الرسول حتى بدأ النصر يلوح للمسلمين، فلما ترك الرماة أماكنهم، وانشغلوا بجمع الغنائم، عاود المشركون هجومهم مرة أخرى، ففر كثير من المسلمين، وثبت بعضهم يقاتل حول رسول الله، منهم أبو دجانة الذي كان يدفع السهام عن رسول الله بعدما رأى كتائب المشركين تريد الوصول إليه، فتصدى لهم بكل ما أوتي من قوة؛ أملا في الحصول على الشهادة.

ومات الرسول وهو راض عنه، فواصل جهاده مع خليفته أبي بكر الصديق، وشارك في حروب الردة، وكان في مقدمة جيش المسلمين الذاهب إلى اليمامة لمحاربة مدعي النبوة مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة، وقاتل قتال الأسد حتى انكشف المرتدون، وفروا إلى حديقة مسيلمة، واختفوا خلف أسوارها وحصونها المنيعة، فألقى المسلمون بأنفسهم داخل الحديقة وفي مقدمتهم أبو دجانة، ففتح الحصن، وحمى القتال، فكسرت قدمه، ولكنه لم يهتم، وواصل جهاده حتى امتلأ جسده بالجراح، فسقط شهيدًا على أرض المعركة، وانتصر المسلمون، وفرحوا بنصر الله، وشكروا لأبي دجانة صنيعه من تضحية وجهاد لإعلاء كلمة الله.

شهيد مؤتة.. ذو الجناحين

جعفر ابن أبي طالب

تكاثر عليه وحوله مقاتلو الروم في معركة مؤتة، ورأى فرسه تعوق حركته فاقتحم عنها، فنزل وراح يصوب سيفه ويسدده إلى نحور أعداء الله كنقمة القدر، ولما رأى واحدا من الأعداء يقترب من فرسه ليعلو ظهرها، عز عليه أن يمتطي صهوها، هذا الرجس فبسط نحوا سيفه، وعقرها، وانطلق بين الصفوف المتكالبة عليه يدمدم كالإعصار وصوته يتعالى بأجندة الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها، والروم روم، قد دنا عذابها كافرة بعيدة انسابها.

إنه جعفر بن أبي طالب ﷺ، ابن عم رسول الله، والشقيق الأكبر لعلي ﷺ، أسلم مبكرًا، وأسلمت معه في نفس اليوم زوجته أسماء بنت عُميس، وتحملا نصيبهما من الأذى والاضطهاد في شجاعة وثبات.

كان أشبه الناس خَلْقًا وخُلُقًا بالرسول، كنَّاه الرسول بأبي المساكين، ولقبه بذي الجناحين، وقال عنه حين قطعت يداه: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء.

وكان جعفر ﷺ يحب المساكين ويطعمهم ويقربهم منه، ويحدثهم ويحدثونه، يقول عنه أبو هريرة: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب.

ويقول عنه أيضًا: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا، ولا وطئ التراب بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب.

ولما خاف الرسول على أصحابه اختار لهم الهجرة إلى الحبشة، وقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، فخرج جعفر وأصحابه إلى الحبشة، فلما علمت قريش، أرسلت وراءهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة – وكانا لم يسلما بعد – وأرسلت معهما هدايا عظيمة إلى النجاشي ملك الحبشة؛ أملا في أن يدفع إليهم جعفر وأصحابه فيرجعون بهم إلى مكة مرة ثانية ليردوهم عن دين الإسلام.

ووقف رسولا قريش عمرو وعبد الله أمام النجاشي فقالا له: أيها الملك! إنه قد ضوي (جاء) إلى بلادك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك (المسيحية)، بل جاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم لتردهم إليهم. فلما انتهيا من كلامهما توجَّه النجاشي بوجهه ناحية المسلمين وسألهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، واستغنيتم به عن ديننا؟

فقام جعفر وتحدث إلى الملك باسم الإسلام والمسلمين قائلاً: أيها الملك، إنا كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى عبادة الله وحده، وخَلْعِ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، فصدقناه وآمنا به، فعذبنا قومنا وفتنونا

عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما ظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك.

استمع النجاشي إلى كلمات جعفر، فامتلأت نفسه روعة بها، ثم سأله: هل معك شيء مما أنزل على رسولكم؟ قال جعفر: نعم، فقال النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ جعفر من سورة مريم، فبكى النجاشي، ثم توجه إلى عمرو وعبد الله وقال لهما: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة (يقصد أن مصدر القرآن والإنجيل واحد). انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما.

فأخذ عمرو يفكر في حيلة جديدة، فذهب في اليوم التالي إلى الملك وقال له: أيها الملك، إنهم ليقولون في عيسى قولاً عظيمًا، فاضطرب الأساقفة لما سمعوا هذه العبارة وطالبوا بدعوة المسلمين، فقال النجاشي: ماذا تقولون عن عيسى؟ فقال جعفر: نقول فيه ما جاءنا به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه. عند ذلك أعلن النجاشي أن هذا هو ما قاله عيسى عن نفسه، ثم قال للمسلمين: اذهبوا، فأنتم آمنون بأرضي، ومن سبكم أو آذاكم فعليه ما يفعل، ثم رد إلى قريش هداياهم.

وعاد جعفر والمسلمون من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، ففرح الرسول فرحًا كبيرًا وعانقه وهو يقول: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحًا؛ أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟ وبني له الرسول دارًا بجوار المسجد ليقيم فيها هو وزوجته أسماء بنت عميس وأولادهما الثلاثة؛ محمد، وعبد الله، وعوف، وآخى بينه وبين معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

وفي العام الثامن من الهجرة، أرسل النبي جيشًا إلى الشام لقتال الروم، وجعل الرسول زيد بن حارثة أميرًا على الجيش وقال: عليكم بزيد بن حارثة، فإن أصيب زيد، فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة. ودارت معركة رهيبة بين الفريقين عند مؤتة، وقتل زيد بن حارثة، فأخذ الراية جعفر، ومضي يقاتل في شجاعة وإقدام وسط صفوف الروم وهو يردد بصوت عالٍ: يا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِبَةٌ، وَبَارِدٌ شَرَابُهَا.. وَالرُّومُ رومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أنْسَابُهَا.. على إذْ لاقيتها ضرابها.

وظل يقاتل حتى قطعت يمينه، فحمل الراية بشماله فقطعت هي الأخرى، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد. يقول ابن عمر: كنت مع جعفر في غزوة مؤتة، فالتمسناه فوجدناه وبه بضع وتسعون جراحة، ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، وعلم الرسول خبر استشهاده، فذهب إلى بيت ابن عمه، وطلب أطفال جعفر وقبلهم، ودعا لأبيهم ﷺ.

راهب الليل

عبد الله بن عمر قتل خطأ

ولد عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، بعد البعثة النبوية الشريفة بثلاث سنوات، وعندما هاجر كان عمره عشر سنوات، وفي غزوة أحد أراد أن يخرج للجهاد، فعرض نفسه على النبي فردَّه لصغر سنه، وفي غزوة الخندق ظل يلح على النبي حتى وافق على خروجه، وكان عمره خمس عشرة سنة، واستمر بعد ذلك يجاهد في جميع الغزوات والمواقع.

وكان ﷺ يتبع آثار النبي ويقتدي به في جميع أموره؛ لدرجة أنه كان يتحرى أن يصلي في كل مكان صلى فيه النبي، ويسير في كل طريق سار فيه، رجاء أن توافق صلاته أو مشيته مكانًا صلى فيه الرسول أو سار فيه، وعلم أن النبي نزل تحت شجرة يستظل بها، فكان عبدالله ينزل عندها، ويتعهدها بالسقيا فيصب في جذرها حتى لا تيبس.

يقول عبد الله: كان الرجل في حياة النبي إذا رأى رؤيا قصها على النبي، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي، وكنت غلامًا شابًا، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، فلقينا ملك آخر، فقال لي: لم ترع (لا

تخف)، فقصصتها على حفصة (أخته وزوج النبي)، فقصتها حفصة على النبي، فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل.. قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلاً.

وكان إذا فاتته العشاء في جماعة، أحيا بقية ليلته. وكان لعبد الله مهراس (حجر مجوف) يوضع فيه الماء للوضوء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغض إغفاء الطائر (ينام نومًا قصيرًا)، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا.

وكان عبد الله من أهل التقوى والورع والعلم، وكان مع علمه الشديد يتحرى في فتواه، ويخاف أن يفتي بدون علم، وقد جاءه يومًا رجل يستفتيه في شيء، فأجابه معتذرًا: لا علم لي بما تسأل عنه، ثم فرح وقال: سئل ابن عمر عما لا يعلم فقال: لا أعلم. وقال عنه ميمون بن مهران: ما رأيت أتقي من ابن عمر. وكان كارهًا لمناصب الدنيا، خائفًا من تحمل أعبائها، وقد أرسل إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعرض عليه منصب القضاء فرفض ابن عمر، وكان عبد الله يحب الحق ويكره النفاق، وقد جاء إليه عروة بن الزبير بن العوام وقال له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام، ونحن نعلم أن الحق غيره فنصدقهم، ويقضون بالجور (أي يحكمون بين الناس بغير الحق) فنقويهم ونحسنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟! فقال ابن عمر لعروة: يابن أخي، كنا مع رسول الله نعدَّ هذا النفاق، فلا أدري كيف هو عندكم؟!

وذات يوم رأى رجلاً يمدح رجلاً آخر، فأخذ ابن عمر ترابًا ورمى به في وجهه وقال له: إن رسول الله قال: إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا (ألقوا) في وجوههم

التراب. وكان رقيق القلب، حسن الطباع، لا يسمع ذكر النبي إلا بكى، وما كان يمر بمسجده وقبره إلا بكى حبًّا وشوقًا إليه.

وكان حسن الخلق لم يلعن خادمه قط، ولم يسَبَّ أحدًا طوال حياته، وقد ارتكب خادمه خطأ ذات مرة فهمَّ أن يشتمه، فلم يطاوعه لسانه، وندم على ما همَّ به فأعتقه لوجه الله تعالى، وكان قارئًا للقرآن، خاشعًا لله، وكلما قرأ أو سمع آية فيها ذكر القيامة بكى حتى تبتل لحيته من كثرة الدموع، فعن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) بكى حتى يغلبه البكاء.

وكان يعظم صحابة النبي ويعرف قدرهم، وكان يخرج إلى السوق من أجل السلام على المسلمين فقط، وكان كثير التصدق وجوادًا كريمًا يكثر الإنفاق في سبيل الله، وكان إذا أحب شيئًا أو أعجب به أنفقه في سبيل الله، وكان من أشد الناس زهدًا في نعيم الدنيا، ومن أحسن الناس حبا لفعل الخير، فيحكي أنه كان مريضًا فقال لأهله: إني أشتهي أن آكل سمكًا فأخذ الناس يبحثون له عن سمك فلم يجدوا إلا سمكة واحدة بعد تعب شديد، فأخذتها زوجته صفية بنت أبي عبيدة فأعدتها، ثم وضعتها أمامه فإذا بمسكين يطرق الباب، فقال له ابن عمر: خذ هذه السمكة، فقال أهله: سبحان الله! قد أتْعَبتنا حتى حصلنا عليها، وتريد أن تعطيها للمسكين؟! كلْ أنت السمكة وسنعطي له درهما فهو أنفع له يشتري به ما يريد.

فقال ابن عمر: لا أريد أن أحقق رغبتي وأقضي شهوتي، إنني أحببت هذه السمكة فأنا أعطيها المسكين إنفاقًا لِمَا أُحِبُّ في سبيل الله.

وكانت وفاته دراميه فبينما كان عبد الله رضي الله عنه، يؤدي فريضة الحج أصابه سن رمح كان مع أحد الرجال في مني فجرحه، فأدى هذا الجرح إلى وفاته، ودفن بمكة سنة ٧٣هـ.

سجن الإمام الكاظم

أبوالحسن موسى بن جعفر ومحاولة اغتياله

أوعز هارون الرشيد إلى عيسى بن جعفر عامله على البصرة باغتيال الإمام الكاظم (أبوالحسن موسي بن جعفر) ﷺ، ولكن ثقل الأمر عليه وراح يستشير خواصه فخوفوه ومنعوه وشرحوا له عاقبة هذا الأمر في الدنيا والآخرة، ولكن رغم ذلك تم حبس الإمام الكاظم ولم تتوقف محاولات اغتياله.

وكان قد ألقى أزلام الخليفة القبض على الإمام الكاظم، وأرسلوه مُقيداً إلى البصرة، وقد وَكّل حسان السري بحراسته، والمحافظة عليه.

وفي الطريق التقى به عبد الله بن مرحوم الأزدي، فدفع له الإمام كُتُباً، وأمره بإيصالها إلى ولي عهده الإمام الرضا، وعَرّفه بأنه الإمام من بعده.

وسارت القافلة تطوي البيداء، حتى انتهت إلى البصرة وذلك قبل التروية بيوم فسلَّم حسّانُ الإمامَ (الكاظم) إلى عيسى بن جعفر، فحبسه في بيت من بيوت المحبس، وأقفل عليه أبواب السجن. وكان عيسى لا يفتحها إلا في حالتين، إحداهما خروج الإمام الكاظم إلى الطهور، والأخرى لإدخال الطعام إليه كان الإمام يصوم في النهار ويقوم في الليل، ويقضي عامة وقته في الصلاة، والسجود، والدعاء، وقراءة القرآن. واعتبرَ تَفرّغَه للعبادة من نِعَم الله تعالى عليه،

فكما يقول: (اللَّهم إنك تعلمُ أني كنتُ أسألك أن تُفرِّغَني لعبادتك، اللَّهُم وقد فعلتَ، فَلَكَ الحمدُ).

الإيعاز لعيسى باغتياله

وأوعز هارون الرشيد إلى عيسي بن جعفر عامِلهُ على البصرة باغتيال الإمام، وثقل الأمر فاستشار خَوَاصّه بذلك، فمنعوه وخَوّفوه من عاقبة الأمر، فاستجابَ لهم، ورفع رسالة إلى هارون، جاء فيها: (يا أمير المؤمنين، كُتِب إليّ في هذا الرجل، وقد اختبرتُه طولَ مَقامِه بِمَن حبستُهُ مَعه عَيناً عليه، لينظروا حيلته وأمره وطويته، ممن له المعرفة والدراية، ويجري من الإنسان مجرى الدم. فلم يكن منه سُوءٌ قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير، ولم يكن عنده تَطلّع إلى ولديه، ولا خروج، ولا شيء من أمر الدنيا. ولا دعا قط على أمير المؤمنين، ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين من ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره، أو ينفّذ من يتسلّمه مِني، وإلا سَرّحت سبيله، فإني منه في غاية الحرج).

ودلت هذه الرسالة على خوف عيسى من الإقدام على اغتيال الإمام، وقد بقي في سجنه سنة كاملة.

سجنه في بغداد

واستجاب الرشيد لطلب عامله عيسى، فأمره بحمل الإمام (الكاظم) إلى بغداد، فَحُمِل إليها تحفّ به الشرطة والحرس. ولما انتهى إليها، أمر الرشيد بحبسه عند الفضل بن الربيع، فأخذ الفضل وحبسه في بيته، ولم يحبسه في

السجون العامة، وذلك لسمو مكانة الإمام، وعظم شخصيته، فخاف من حدوث الفتنة واضطراب الرأي العام.

واقبل الإمام كعادته على العبادة والطاعة، وقد بهر الفضل بعبادته، فقد روي عبد الله القزويني قال: دخلتُ على الفضل بن الربيع، وهو جالس على سطح داره فقال لي: أُدنُ مني، فَدنوتُ حتى حَاذَيتُه، ثم قال لي: أشرفْ على الدار. فأشرفتُ على الدار، فقال لي الفضل: ما ترى في البيت؟ فقلت: أرى ثوباً مطروحاً . فقال الفضل: انظر حسناً. فتأملت ونظرتُ ملياً فقلتُ: رجل ساجد فقال الفضل: هل تعرفه ؟ فقلتُ: لا. فقال: هذا مولاك. فقلت: من مولاي؟ فقال: تتجاهلُ عليّ؟ فقلت: ما أتجاهل، ولكن لا أعرف لي مولى. فقال: هذا أبو الحسن موسي بن جعفر. وكان عبد الله ممن يدين بإمامته. وأخذ الفضل يحدثني عن عبادته قائلاً: إني أَتَفَقّده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات إلا الحال التي أُخبِرُك بها: إنه يصلي الفجر، فَيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس وقد وكّل من يترصد له الزوال، فلستُ أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذ يثِبُ فيبتدئ بالصلاة من غير أن يجدد الوضوء، فاعلم أنه لم ينَم في سجوده ولا أغفي. فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سَجَد سجدة فلا يزال في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة. فإذا صلى العتمة افطر على شِوي يؤتَي به، ثم يجدد الوضوء ثم يسجد، ثم يرفع رأسه فينام نومة خفيفة.

ثم يقوم فَيجدد الوضوء ثم يقوم، فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، فلستُ أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع، إذ قد وَثِبَ هو لصلاة الفجر. فهذا دأبه منذُ حَولٍ لي.

فهكذا كان الإمام (الكاظم)، قد طبع على قلبه حُبّ الله تعالى، وهام بعبادته وطاعته.

ولما رأى عبد الله الفضل للإمام حَذّره من أن يستجيب لهارون باغتياله قائلاً له: اتّقِ الله، ولا تُحدث في أمرِهِ حَدَثاً يكون منه زوال النعمة، فقد تعلم أنه لم يفعل أحدٌ سوءاً إلا كانت نعمتُهُ زائلة. فانبرى الفضل يؤيد ما قاله عبد الله قائلاً: قد أرسلوا إلى غير مَرّة يأمرونني بقتله فلم أُجِبهِم إلى ذلك. فقد خاف الفضلُ من نقمة الله وعذابه في الدنيا والآخرة إن اغتال الإمام، وأعرض عن ذلك.

سهيل بن عمرو

شهيد اليرموك.. وخطيب قريش

بعد أن حارب المسلمين في غزوة بدر وظل نداً قوياً يعادي الإسلام وعند فتح مكة أغلق عليه بابه ثم خرج مع المسلمين وهو على شركه "حنين"، عاد وقد أفاء الله عليه بنعمة الإسلام فعاش مجاهداً يبغي لقاء وجه ربه حتى استشهد في معركة اليرموك.

إنه الصحابي الجليل سهيل بن عمرو -رضي الله عنه- كان من أشراف قريش وسادتها، وكان خطيبًا مفوهًا، يخطب في أهل مكة؛ ليحرضهم على عداوة النبي وأصحابه، وحارب سهيل في صفوف الشرك في غزوة بدر الكبرى، وهو الذي قال: لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضًا على خيل بلق أي بها سواد وبياض، بين السماء والأرض، معلمين، يقاتلون، ويأسرون، يقصد الملائكة التي أنزلها الله لتقاتل مع المسلمين مشركي قريش.

وظل سهيل بن عمرو على عناده وكفره حتى خرج النبي وأصحابه قاصدين الحج إلى بيت الله الحرام، وعندما علمت قريش انتدبت بعض رجالها ليفاوضوا النبي وكان آخرهم سهيل بن عمرو، وتم صلح الحديبية الذي كان فيه سهيل بن عمرو نائبًا وخطيبًا عن قريش، فلما رآه رسول الله قال للمسلمين: قد سهل لكم من أمركم، وقال سهيل للنبي: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا. فنادى رسول الله على بن أبي طالب وقال له اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: أما

الرحمن، فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي: اكتب باسمك اللهم، فكتبها عليّ، ثم قال رسول الله: اكتب: هذا ما قاض عليه محمد رسول الله فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال رسول الله: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، وقال للكاتب: اكتب محمد بن عبد الله.

وروي أنه لما فتح رسول الله مكة دخل سهيل داره وأغلق عليه بابه، ثم أرسل ابنه عبد الله بن سهيل –وكان مسلمًا– إلى النبي يطلب منه الأمان لأبيه، فذهب عبد الله إلى النبي وقال له: يا رسول الله: أبي تؤمنه؟ فقال رسول الله: نعم هو آمن بأمان الله، فليظهر، ثم قال النبي لمن حوله من المسلمين: من لقي منكم سهيلا فلا يشدُّ إليه النظر، فليخرج، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام.

بذلك عبد الله وأسرع عائدًا إلى أبيه يخبره بما قاله رسول الله فسرَّ سهيل بما سمع، وقال: كان والله برًّا صغيرًا وكبيرًا يقصد النبي، ثم خرج من بيته يغدو ويروح لا يتعرض له أحد. وخرج سهيل مع رسول الله والمسلمين إلى حنين وهو مازال على شركه، واشترك معهم في القتال، وانتصر المسلمون، فلما عاد المسلمون أعلن إسلامه، فسعد بذلك الرسول والمسلمون، وأعطاه من غنائم حنين مائة من الإبل.

وقد حسن إسلامه، وأصبح كثير العبادة، وأصبح محبًا لله ورسوله، ومكث بمكة يقيم فيها شعائر ربه، ويرفع فيها راية الإسلام خفاقة عالية، حتى إذا جاء نبأ وفاة النبي هاج المسلمون في مكة، وهم بعضهم أن يرتد عن الإسلام، فتدارك

سهيل بن عمرو الموقف، ووقف خطيبًا في أهل مكة، فتلا قوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين" آل عمران: ١٤٤. ثم قال: من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، والله إني أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس من طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم، إن موت النبي حق، والله موجود حي لا يموت، والإسلام باقٍ ما بقِيت السماء والأرض. فعاد أهل مكة إلى صوابهم، وتمسكوا بإسلامهم.

وتحققت نبوءة النبي حين قال له عمر عن سهيل حين أسر في غزوة بدر: دعني أنزع ثنتيه، فلا يقوم علينا خطيبًا، فقال: دعها فلعلها أن تسرك يومًا (البيهقي في الدلائل).

وذات يوم أذن عمر بن الخطاب لأهل بدر في الدخول عليه، فأذن لبلال وعمار، بينما لم يأذن لمن حضر من سادة قريش، فكره أبو سفيان ذلك، وقال غاضبًا: ما رأيت كاليوم قط، إنه يأذن لهؤلاء العبيد، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا ولا يأذن لنا، فقال سهيل: أيها القوم، إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، فقد دعا القوم يقصد البدريين ودعيتم إلى الإسلام، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه.

وكان سهيل –ﷺ– شجاعًا، محبًّا للجهاد في سبيل الله، وكان يقول: والله لا أدع موقفًا وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضًا.

وقد دخل سهيل على أمير المؤمنين عمر يسأله عن أمر يستدرك به ما فاته وما سبقه به إخوانه المسلمون، فأشار عليه عمر بالجهاد في سبيل الله على حدود الروم، فلم يتوان سهيل عن ذلك، وعزم على أن يقضي باقي عمره مجاهدًا لله ورسوله، ووقف سهيل يخطب في أشراف مكة، ويحثهم على الجهاد في سبيل الله، فقال لهم: والله إني لمرابط في سبيل الله حتى أموت ولن أرجع إلى مكة. وخرج سهيل بأهله إلى الشام، وظل مجاهدًا في سبيل الله عز وجل، حتى رزقه الله بالشهادة في معركة اليرموك.

شهيد السماء

سعد بن معاذ

أبلى بلاء حسنا في غزوة بدر، وكان للمسلمين النصر المبين، أظهر حماسة شديدة وشجاعة عظيمة وظل يدافع عن النبي في غزوة أحد حتى عاد المشركون إلى مكة، وفي غزوة الخندق وحين رماه ابن العرفة بسهم فأصابه قال: لا قوم أحب إلى من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك، وكذبوه وأخرجوه، اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجلعها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من قريظة.

إنه الصحابي الجليل سعد بن معاذ -رضي الله عنه- سيد الأوس أسلم بعد بيعة العقبة الأولى، وحضر بيعة العقبة الثانية.

ولإسلام سعد قصة طريفة، فقد بعث النبي مصعب بن عمير -رضي الله عنه- ليدعو أهل المدينة إلى الإسلام، ويعلِّم من أسلم منهم القرآن وأحكام الدين، وجلس مصعب ومعه الصحابي أسعد بن زرارة في حديقة بالمدينة، وحضر معهما رجال ممن أسلموا، فلما سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وكانا سيدي قومهما، ولم يكونا أسلما بعد، قال سعد لأسيد بن حضير: انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا ديارنا، فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه. بينما وقف أسيد يسبهما، فقال له

مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، فجلس أسيد، واستمع إلى مصعب، واقتنع بإسلامه، فأسلم، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ أسيد حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس، فقال له: إن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وكان أسعد ابن خالة سعد، فقام سعد غاضبًا فأسرع وأخذ الحربة في يده. فلما رآهما جالسين مطمئنين، عرف أن أسيدًا إنما قال له ذلك ليأتي به إلى هذا المكان، فأخذ يشتمهما، فقال أسعد لمصعب: أي مصعب، جاءك والله سيدٌ من ورائه قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم أحد.

فقال مصعب لسعد: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا، ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته، عزلنا عنك ما تكره. قال سعد: أنصفت، ثم وضع الحربة، وجلس. فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن كما فعل مع أسيد، فلمح مصعب وأسعد الإسلام في وجه سعد بن معاذ قبل أن يتكلم؛ فقد أشرق وجهه وتهلل، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قال: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

ففعل سعد ذلك، ثم أخذ حربته ورجع إلى قومه، فلما رآه قومه قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به، فقال لهم سعد: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام، حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، فما أمسي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا ودخل في الإسلام. وبعد انتشار الإسلام في ربوع المدينة، أذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة إلى المدينة، فكان سعد خير معين

لإخوانه المهاجرين إلى المدينة. وجاءت السنة الثانية من الهجرة، والتي شهدت أحداث غزوة بدر، وطلب النبي (المشورة قبل الحرب، فقام أبو بكر وتحدث ثم قام، فتحدث عمر، ثم قام المقداد بن عمرو، وقالوا وأحسنوا الكلام، ولكنهم من المهاجرين، فقال الرسول: (أشيروا على أيها الناس)، فقال سعد بن معاذ زعيم الأنصار: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: (أجل)، فقال سعد: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرَّ به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرَّ رسول الله عندما سمع كلام سعد، ثم قال: (سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم).

وقبل أن تبدأ المعركة قال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا؛ كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فأثنى عليه رسول الله خيرًا، ودعا له بخير، ثم بني لرسول الله عريشًا، فجلس فيه يدعو الله أن ينصر الإسلام. وأبلى المسلمون في غزوة بدر بلاء حسنًا، وكان لهم النصر.

ويروى أن سعد بن معاذ كان يقول: ثلاث أنا فيهن رجل كما ينبغي، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس، ما سمعت من رسول الله حديثًا قط إلا علمت أنه حق من الله عز وجل، ولا كنت في صلاة قط فشغلت نفسي بغيرها حتى أقضيها،

ولا كنت في جنازة قط، فحدثت نفسي بغير ما تقول، ويقال لها، حتى أنصرف عنها. وكان سعيد بن المسيب يقول: هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا في نبي.

وتأتي غزوة أحد، ويظهر سعد فيها حماسة شديدة وشجاعة عظيمة، وظل يدافع عن النبي حتى عاد المشركون إلى مكة.

وفي غزوة الخندق، تحالف المشركون وتجمعوا من كل مكان يحاصرون المدينة، واستغلَّ بنو غطفان الموقف، فبعثوا إلى رسول الله كتابًا يعرضون فيه أن يتركوا القتال في مقابل أن يحصلوا على ثلث ثمار المدينة، فاستشار الرسول صحابته في هذا.فقال سعد: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك، وكانوا لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذه من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فرضي الرسول والصحابة بذلك.

وأصيب سعد بن معاذ في غزوة الخندق بسهم حين رماه ابن العرقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال سعد: عرق الله وجهك في النار. ثم دعا سعد ربه فقال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا، فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلى من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك، وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من قريظة. (أحمد وابن هشام).

وانتهت غزوة الخندق بهزيمة المشركين، وبعد الغزوة ذهب الرسول هو وصحابته لحصار بني قريظة الذين تآمروا مع المشركين على المسلمين، وخانوا عهد الرسول، وغدروا بالمسلمين، وجعل الرسول سعد بن معاذ هو الذي يحكم

فيهم، فأقبل سعد يحملونه وهو مصاب، وقال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم.

ثم التفت إلى النبي وقال: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبي ذراريهم ونساؤهم، فقال الرسول: (لقد حكمت فيهم بحكم الله) (ابن عبدالبر).

ثم يموت سعد بن معاذ –ﷺ – ويلقي ربه شهيدًا من أثر السهم، وأخبر الرسول (صحابته أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد، وجاء جبريل إلى رسول الله وقال له: من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واستبشر به أهلها؟

وأسرع النبي وأصحابه إلى بيت سعد ليغسلوه ويكفنوه، فلما فرغوا من تجهيزه والصلاة عليه، حمله الصحابة فوجدوه خفيفًا جدًّا، مع أنه كان ضخمًا طويلاً، ولما سئل الرسول عن ذلك قال: (إن الملائكة كانت تحمله) ابن عبد البر، وقال: (شهده سبعون ألفًا من الملائكة).

وجلس الرسول على قبره، فقال: (سبحان الله) مرتين، فسبح القوم ثم قال: (الله أكبر) فكبروا، وقال النبي: (لو نجا أحد من ضغطة القبر، لنجا منها سعد بن معاذ)، وكانت وفاته –ﷺ– سنة (٥هـ)، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، ودفن بالبقيع.

حامل الراية وشهيد اليمامة

زيد بن الخطاب

كانت راية المسلمين معه يوم اليمامة، فلم يزل تقدم بها في غزو العدو، ثم قاتل قتالاً شديداً حتى قتل فوقعت منه الراية، وحزن عليه عمر بن الخطاب وهو يقول: اسلم قبلي واستشهد قبلي وكان يقول: ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد.

إنه زيد بن الخطاب بن نقيل بن عبدالعزى بن رياح السيد الشهيد المجاهد التقي أبوعبدالرحمن القرشي العدوي، أخو أمير المؤمنين عمر لأبيه وكان أسمر، طويلاً جداً.

وكان أكبر منه سنًا، وأسلم قبله واستشهد قبله، وقد آخى النبي (بينه وبين معن بن عدي العجلاني، وظلا معًا حتى استشهدا في اليمامة، وكان إيمانه بالله وبرسوله إيمانًا قويا، فلم يتخلف عن رسول الله في غزوة أو مشهد، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وشهد بيعة الرضوان بالحديبية، وفي كل مرة يقابل فيها أعداء الإسلام كان يبحث عن الشهادة).

رآه أخوه عمر يوم أحد، وقد سقط الدِّرع عنه، وأصبح قريبًا من الأعداء، فصاح قائلا: خذ درعي يا زيد فقاتل بها، فردَّ عليه زيد: إني أريد من الشهادة ما تريده يا عمر، وظل يقاتل بغير درع في فدائية، ولكن الله لم يكتب له الشهادة في تلك الغزوة.

وبعد وفاة الرسول، ارتدت كثير من قبائل العرب، فرفع الصديق لواء الجهاد في وجوه المرتدين حتى يعودوا إلى الإسلام، وكانت حرب اليمامة من أشد حروب الردة، ودارت رحاها بين المسلمين وجيوش مسيلمة الكذاب، وكاد المسلمون أن ينهزموا بعد أن سقط منهم شهداء كثيرون، فلما رأى زيد ذلك، صعد على ربوة وصاح في إخوانه: يا أيها الناس، عضوا على أضراسكم، واضربوا عدوكم، وامضوا قدمًا، ثم رفع بصره إلى السماء وقال: اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة وأصحابه. ثم نذر ألا يكلم أحدًا حتى يقضي الله بين المسلمين وأعدائهم فيما هم فيه مختلفون، ثم قال: والله لا أتكلم اليوم حتى يهزمهم الله أو ألقي الله، فأكلمه بحجتي. ثم أخذ سيفه، وقاتل قتالا شديدًا، وعمد إلى "الرجَّال بن عنفوة" قائد جيوش مسيلمة وقتله، وكانت أمنيته أن يقتل هذا المرتد، وظل يضرب في أعداء الله حتى رزقه الله الشهادة.

فحزن المسلمون لموت زيد حزنًا شديدًا، وكان أشدهم حزنًا عليه أخوه عمر الذي قال حينما علم بموته: رحم الله زيدًا سبقني إلى الحسنيين، أسلم قبلي، واستشهد قبلي. وكان دائمًا يقول: ما هبت الصبا إلا وجدت منها ريح زيد، وها هو ذا يقول لمتمم بن نويرة: لو كنت أحسن الشعر لقلت في أخي زيد مثل ما قلت في أخيك مالك، وكان متمم قد رثى أخاه مالكًا بأبيات كثيرة، فقال متمم، ولو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه، فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به.

ضعف المسلمين.. شجع القراصنة على سرقة الحجر الأسود

حاول أمير مكة وأهل بيته وجنده أن يمنعوا القرامطة من أخذ الحجر الأسود وعرض عليه كل ماله ليرد الحجر فأبى القرمطي اللعين وقتله ومعظم أهل بيته وجنده وقتل الآلاف من الحجاج المسلمين والمسالمين، وسالت الدماء أنهارا والقرامطة كانوا يجحدون شعائر الإسلام كلها خصوصًا شعائر الحج التي قالوا عنه إنها شعائر جاهلية وثنية، لذلك فلقد عملوا دائمًا على قطع طريق حجاج العراق، وفتكوا عدة مرات بركب العجيج، وكانوا يخططون لهدف أعلى ألا وهو تحويل الناس من التوجه للكعبة بمكة إلى بيت بمدينة "هجر" بناه أبو سعيد الجنابي.

ودعى الناس للحج إليه بدلاً من الكعبة، ولما رأى أن الناس لا يستجيبون لكفره وضلاله احتار في أمره فجاءه إبليس لعنه الله وتمثل له في صورة ناصح أمين وقال له إن الناس لن يأتوا إلى بيت هجر إلا إذا كان به "الحجر الأسود" الموجود بالكعبة، ولابد من سرقة هذا الحجر، فشرع أبو عبيد في خطفه ولكنه اصطدم بقوة أوضاع الخليفة العباسي وقتها، وظل هكذا حتى مات وجاء من بعده ولده أبو طاهر، وكان صاحب شخصية شريرة حاقدة في قمة الشجاعة والجراءة.

حدث أن وقع انقلاب على الخليفة العباسي المقتدر بالله عن طريق قائد جيشه ووزيره وعزلوه من منصبه، وعينوا أخاه القاهر مكانه، وحدثت اضطرابات شديدة بالأمصار الإسلامية، واستغل أبو طاهر هذا الفساد الواقع بين المسلمين لتنفيذ خطته الشريرة في سرقة الحجر الأسود.

خرج ركب الحجاج من كل مكان فوصلوا إلى مكة سالمين واجتمعوا كلهم في يوم التروية وهم لا يدرون بما هو مقدور لهم، حيث كان القرمطي الكافر في انتظارهم فهجم عليهم في يوم ٨ ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ فانتهب أموالهم واستباح دماءهم وقتلوا في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الحرم والكعبة أكثر من ثلاثين ألفًا من المسلمين والمجرم الكافر أبو طاهر جالس على باب الكعبة، والرقاب تتطاير من حوله في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم من أشرف الأيام يوم التروية والكافر ينشد:

أنـــا بـــالله وبـــالله أنـــا يخلـــق الخلـــق وأفنـــيهم أنـــا

والناس يفرون ويتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يقتلون وهم كذلك، فلما قضي الكافر المجرم فعلته الشنيعة بالحجاج أمر بأن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيرًا منهم في أماكنهم في المسجد الحرام، ويا حبذا تلك القتلة، وذلك المدفن والقبر، وهدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد على أستار الكعبة يقلعه فسقط على أم رأسه فمات في الحال، ثم أمر بعد ذلك بقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بسلاحه، وهو يقول أين الطير الأبابيل أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود، وأخذوه إلى بلادهم وخرجوا وهم يقولون:

فلـو كـان هـذا البيـت لله ربنـا لصـب علينـا النـار مـن فوقنـا صـبًا
لأنـا حججنـا حجـة جاهليـة محللـة لـم تبـق شـرقًا ولا غربًـا
وإنـا تركنـا بـين زمـزم والصـفا جنـائز لا تبغـي سـوى ربهـا ربًـا

حاول أمير مكة هو وأهل بيته وجنده أن يمنعوا القرامطة من أخذ الحجر الأسود وعرض عليه جميع ماله ليرد الحجر فأبى القرمطي اللعين فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته، ولم يستطع أحد أن يمنع تلك المجزرة البشعة ولا السرقة الشنيعة.

ظل الحجر الأسود موجودًا عند القرامطة بمدينة "هجر" طيلة اثنتي وعشرين سنة بعد أمر من الخليفة الفاطمي في مصر بذلك، وسبق أن عرضنا للعلاقة بين القرامطة والفاطميين، وأن كليهما باطني ملحد مجرم كافر، وكان الأمير التركي "بجكم" قد عرض عليهم خمسين ألف دينار ليردوا الحجر، ولكنهم رفضوا وقالوا نحن أخذناه بأمر فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره.. يقصد الخليفة الفاطمي.

والسؤال الذي يثور الآن: لماذا ترك الله عز وجل هؤلاء الكفرة المجرمين يلحدون في الحرم ولم ينتقم منهم كم فعل مع أصحاب الفيل الذي أرادوا هدم الكعبة؟

هذا السؤال أجاب عنه الإمام ابن كثير في تعليقه على الحادثة فقال: إن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهارًا لشرف هذا البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم من البلد الذي فيه البيت الحرام فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها وإرسال الرسول منها أهلكهم سريعًا عاجلاً، ولم

تكن شرائع مقررة تدل على فضله فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله، أما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحادًا بالغًا عظيمًا وعلم أنهم من أعظم الملحدين الكافرين، فأخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار والله سبحانه يمهل ولا يهمل ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال النبي ﷺ: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، انتهى كلام ابن كثير.

ونضيف على كلام الإمام ابن كثير أن الله عز وجل قد أنزل على رسوله الكتاب وأقيمت دولة الإسلام وشيدت أعمدة أمة الإسلام، واستخلف الله عز وجل المسلمين على قيادة سفينة المجتمع وشرع لهم الجهاد في سبيل الله لنشر الدين وتبليغ الرسالة وردع الظالمين، وكف أذى الكافرين ورد عارية المجرمين الملحدين، ويوم يتبع المسلمون أذناب البقر ويرضوا بالحياة الدنيا ويتركوا الجهاد في سبيل الله عز وجل فإن الله عز وجل يسلط عليهم من يجعلهم يفيقوا من غفلتهم ويسلط عليهم الذلة والأعداء حتى يعودوا لدينهم ورشدهم؛ لأن نصر الله عز وجل لا ينزل إلا على من ينصر الله كما قال عز وجل: "إن تنصروا الله ينصركم" فإذا ترك المسلمون الجهاد ترك الله عز وجل نصرتهم ولا كرامة!

طلحة بن عبيد الله

شهيد يمشي على الأرض

إنه الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله، قال عنه الرسول: "من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض؛ فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله" وهو أحد العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليكون منهم خليفة المسلمين.

وكان طلحة قد سافر إلى أرض بصرى بالشام في تجارة له، وبينما هو في السوق سمع راهبًا في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ فذهب إليه طلحة، وقال له: نعم أنا، فقال الراهب: هل ظهر أحمد؟ قال طلحة: من أحمد؟ قال الراهب: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة ويباخ (يقصد المدينة المنورة)، فإياك أن تسبق إليه.

فوقع كلام الراهب في قلب طلحة، ورجع سريعًا إلى مكة وسأل أهلها: هل كان من حدث؟ قالوا نعم، محمد الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة، فذهب طلحة إلى أبي بكر، وأسلم على يده، وأخبره بقصة الراهب. فكان من السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر. ورغم ما كان لطلحة من ثراء ومال كثير ومكانة في قريش، فقد تعرض لأذى المشركين واضطهادهم

مما جعله يهاجر المدينة حين أذن النبي للمسلمين بالهجرة، وجاءت غزوة بدر لكنه لم يشهدها، وقيل إن الرسول أرسله في مهمة خارج المدينة وحينما عاد ووجد المسلمين قد عادوا من غزوة بدر، حزن طلحة حزنًا شديدًا لما فاته من الأجر والثواب، لكن الرسول أخبره أن له من الأجر مثل من جاهد في المعركة، وأعطاه النبي سهمًا ونصيبًا من الغنائم مثل المقاتلين تمامًا.

ثم شهد طلحة غزوة أحد وما بعدها من الغزوات، وكان يوم أحد يومًا مشهودًا، أبلي فيه طلحة بلاء حسنًا حتى قال عنه النبي: "طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض" وحينما نزل قول الله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"، قال النبي: "طلحة ممن قضى نحبه".

وحينما حدث اضطراب في صفوف المسلمين، وتجمع المشركون حول رسول الله كل منهم يريد قتله، وكل منهم يوجه السيوف والسهام والرماح تجاه الرسول إذا بطلحة البطل الشجاع يشق صفوف المشركين حتى وصل إلى رسول الله، وجعل من نفسه حصنًا منيعًا للنبي، وقد أحزنه ما حدث لرسول الله من كسر رباعيته، وشج رأسه، فكان يتحمل بجسمه السهام عن رسول الله، ويتقي النبل عنه بيده حتى شلت يده، وشج رأسه، وحمل رسول الله على ظهره حتى صعد على صخرة، وأتاه أبو بكر وأبو عبيدة، فقال لهما الرسول: اليوم أوجب طلحة يا أبا بكر"، ثم قال لهما: "عليكما صاحبكما"، فأتيا إلى طلحة فوجداه في حفرة، وبه بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة، وقد قطعت أصبعه.

وكان أبو بكر الصديق إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، وقد بشره الرسول بالجنة.

وقد بلغ طلحة مبلغًا عظيمًا في الجود والكرم حتى سمي بطلحة الخير، وطلحة الجواد، وطلحة الفياض، ويحكي أن طلحة اشترى بئر ماء، ثم تصدق بها، فقال رسول الله: "أنت طلحة الفياض"، ومن يومها قيل له طلحة الفياض. وقد أتاه مال من حضرموت بلغ سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: مالك؟ فقال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته، فأشارت عليه أن يقسم هذا المال على أصحابه وإخوانه، فسرَّ من رأيها وأعجب به، وفي الصباح، قسم كل ما عنده بين المهاجرين والأنصار، وهكذا عاش حياته كلها كريمًا سخيا شجاعًا.

واشترك في باقي الغزوات مع النبي ومع أبي بكر وعمر وعثمان، وحزن حزنًا شديدًا حينما رأى مقتل عثمان بن عفان، رضي الله، واستشهاده، واشترك في موقعة الجمل مطالبًا بدم عثمان وبالقصاص ممن قتله، وعلم أن الحق في جانب علي، فترك قتاله وانسحب من ساحة المعركة، وفي أثناء ذلك أصيب بسهم فمات.

فشل أبي جهل في اغتيال محمد

فمات بغيظه على الكفر

اجتمع زعماء الشرك في دار الندوة للتخلص النهائي من الرسول ﷺ واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً ليضربوا الرسول ضربة واحدة فيقتلوه وتتفرق دماؤه بين القبائل، لكن كانت العناية الإلهية تحرسه حتى تزغرد الدنيا ويفرح بالتاريخ باكتمال الدين الذي ارتضاه الله لخلقه.

وتبدأ تفاصيل المؤامرة التي تزعمها أبوجهل لاغتيال الرسول الكريم عندما قابل عليه الصلاة والسلام وهو يعرض نفسه على الناس والقبائل نفرا من الخزرج من أهل يثرب في العقبة فآمنوا بدعوته وقالوا له: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك فإن يجمعهم الله على هذا الدين فلا رجل أعز منك وفي العام التالي جاء من يثرب اثنا عشر رجلا وبايعوا الرسول على ألا يشركوا بالله شيئا ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف وأرسل معهم الرسول "مصعب بن عمير" أول سفير في الاسلام، وعلى يديه انتشر الإسلام في يثرب حتى إذا كانت العقبة الأخيرة وجدنا أن عدد من حضر وبايع الرسول فيها ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان.

وكانت هذه البيعة من أهم الأحداث الخطيرة التي غيرت مجرى التاريخ، فقد أتاحت هذه البيعة هجرة المسلمين إلى يثرب، حيث الأمن والأمان لدينهم وممتلكاتهم ليصبحوا قوة هائلة لمواجهة صلف مكة، ولنشر الدين الحنيف في مختلف أرجاء شبه جزيرة العرب، ولأن يبعث الرسول الكريم برسائله إلى مختلف حكام وملوك العالم للدخول في الدين الحنيف، أي أن الهجرة كانت إيذانا بقيام الدولة الإسلامية التي مهدت بعد أن أذن للرسول وللمؤمنين بالقتال إلى تكوين أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ على يد خلفاء أعظم رسل الله "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير".

ولقد هاجر عدد كبير من المسلمين إلى يثرب كما أمرهم الرسول بذلك، تمهيدا لأن يهاجر الرسول بنفسه إلى يثرب، وأيقنت قريش بعد أن شاهدت هجرة المسلمين أن الرسول نفسه سوف يهاجر من مكة إلى يثرب، فضيقت عليه الخناق، ثم تآمرت على قتله، واجتمع زعماء الشرك في دار الندوة في محاولة للتخلص النهائي من الرسول بقتله، واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة شابا، ويضربوا الرسول عندما يخرج من منزله ضربة رجل واحد، وبذلك يضيع دمه بين القبائل وقد صور القرآن الكريم ذلك بقوله المعجز:

"وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك، أو يقتلوك، أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" (الأنفال ٣٠).

استعد النبي عليه الصلاة والسلام للهجرة، وقرر أن يصحبه في هذه الرحلة المباركة أبوبكر الصديق، وطلب الرسول الكريم من على بن أبي طالب أن ينام في فراشه وأن يرد الأمانات التي كان الناس قد أودعوها عند الرسول لأصحابها قال الرسول الكريم لعلي بن أبي طالب: "نم على فراشي، وتغط ببردي الأخضر،

ولن يخلص إليك شيء تكرهه"، وفي الليلة الموعودة خرج الرسول من منزله المحاصر بشباب مكة وهو يردد قوله تعالى:

"وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون" يس: ٩.

ولم يشعر بالرسول أحد عند خروجه، فقد غشيهم النعاس وعندما استيقظوا عرفوا أن الرسول غادر المنزل، وأن عليا ينام مكانه وجن جنون مكة، وأخذت تبحث عنه في كل مكان بلا جدوى فقد اتجه إلى غار ثور في الجنوب الشرقي من مكة.

وفي الصباح هجم أبوجهل ومعه وبعض رجال مكة على منزل الصديق، وطرقوا بابه بشدة، وعندما خرجت لهم أسماء بنت أبي بكر، سألها أبوجهل: أين أبوك؟

قالت له: لا أدري، فدخلوا الدار وهم يبحثون عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن الصديق، ولم يعثروا على شيء، ومن هنا تملك الغيظ من أبي جهل فلطم أسماء على خدها ضربة طيرت القرط من أذنها، وخرج غاضبا هو ومن معه، وكل همه البحث عن الرسول وصاحبه كانت العناية الإلهية في جانب الرسول وصاحبه، فعلى الغار نسج العنكبوت نسيجا ليستر النبي وصاحبه عن العيون. وعلى باب الغار كانت تحط حمامة وتحضن بيضا.

وشاهد الكفار هذا المشهد فاستبعدوا أن يكون الرسول وصاحبه في هذا الغار بعد أن شاهدوا خيوط العنكبوت، وهدوء الحمامة وهي نائمة على بيضها وقال أحد الكفار: ماذا تريدون من هذا الغار، وعليه نسج العنكبوت هذه الخيوط

أنها أقدم من ميلاد محمد، وفوقه حمامة ترقد على بيضها آمنة، ولو دخله محمد لتمزقت خيوط العنكبوت، وما أمنت الحمامة؟

بينما كان الصديق يهمس قائلا للرسول الكريم :يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لرآنا فقال له النبي الخاتم: لا تحزن إن الله معنا.

وفي اليوم الثالث من البحث عن الرسول وصاحبه فترت همة قريش، بينما كان الرسول الكريم وصاحبه يهمان بالرحلة إلى يثرب بصحبه الدليل عبدالله بن أريقط.

واستشعر الرسول الكريم الحزن يسري في كيانه كله، وهو يودع مكة التي عاش فيها طفولته وشبابه وقال وعينه دامعة: والله إني لأخرج منك، وإني أعلم انك أحب أرض الله إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت.

واتجه الركب إلى طريق غير مألوف نحو ساحل البحر من طريق الساحل إلى الشمال، متجها إلى يثرب حتى وصلها، واستقبلته يثرب في يوم سيظل إلى أبد الدهر من الأيام الخالدة المشهودة بل من أروع أيام التاريخ استقبلته يثرب بهذا النشيد:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

يقول المؤرخ الكبير د حسن حبشي: كانت الهجرة إيذانا بأن الله عز وجل اراد لدينه أن يعلو رغم كيد الكائدين، وإفك المنافقين وأباطيل المفترين ومن في قلوبهم مرض.

ووضعت الهجرة حدا لاستعباد الإنسان لأخيه الإنسان، إذ المؤمنون أخوه لا فضل لواحد على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولا يخرج الصالح إلا صالحا، عملا كان أو كلمة يقول الله تعالي في كتابه الكريم:

"ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار".

وكانت الهجرة بداية عصر جديد استغرق سنوات للدعوة لدين الله الحق، ونبذ الشرك، وهدم الكفر، ومحاربة الظلم، والقضاء على كل ما ينزل الإنسان من مكانته الكريمة التي أرادها الله جل جلاله.

وكانت الهجرة بداية عصر جديد صفق له التاريخ، وزغردت الدنيا باكتمال فرحتها بالدين الذي ارتضاه الله لخلقه منذ أن برأ الخليقة فإن تسأل متى كانت الهجرة جاءك الجواب بأنها كانت يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، واتخذها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بداية للتاريخ الإسلامي يؤرخ بها، فانقضى بذلك حتى الآن خمسة عشر قرنا من الزمان وبضع سنين، وها هو ذا القرن الخامس عشر سيطل على العالم ليكون بإذنه تعالى قرن نهضة شاملة وعز للإسلام، وأخوة يفيء الجميع إلى ظلها الوارف الظليل وقد أدت الهجرة إلى استقرار النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة هاديا وراعيا ومدبرا ومخططا، كما

أدت إلى متابعة مؤمنيها له متابعة لا يشوبها الرياء، ولا تعرف النفاق، وكان هو القدوة كما شاء ربه، ثم قام بتدبير أسر مجتمع أهل المدينة وتنظيم أحوالهم، وترتيب معاملاتهم بعضهم مع بعض كأخوة في الله، ومع من يعيشون بين ظهرانيهم فيهم مسلمين كانوا أو غير مسلمين تجمعهم الإنسانية ولكل منهم ما للآخر وعليه ما عليه ويعلم أبوجهل أن رسول الله قد وصل إلى المدينة سالما، وأن أهلها استقبلوه بأكاليل الغار، وأنه بذلك أصبح في أمن وأمان، وأنه سوف يدعو إلى الإسلام وسوف يدخل فيه الكثيرون استشعر أبوجهل كل ذلك فازداد غضبا على غضب، وحقداً على حقد، وحسداً على حسد.

سعيد بن المسيب

أعلم الرجال بالحلال والحرام

عبدالملك بن مروان يضربه بالسياط!

لم يكن يؤمن بخلافة عبدالله بن الزبير أو عبدالملك بن مروان كان يرى أن الخلافة لم تعد كما كانت والأكثر ابنهاراً في شخصية هذا الرجل، أنه رفض أن يزوج ابنته من رجل تدين له الدنيا كلها، وقد تعرض هذا الرجل للاستمالة لمتابعة أحدهما لكنه رفض وكان عقابه ضربه بالسوط ٦٠ ضربة.

إنه التابعي الجليل سعيد بن المسيب الذي حفظ القرآن صغيراً، ودرس الحديث الشريف على يد أعلام من أبناء الصحابة أمثال ابن عمر وابن عباس وأبي الدرداء وغيرهم، كما حفظ الأحاديث التي رواها الصحابي الجليل أبوهريرة، بل إنه تزوج من ابنته، وأصبح الناس يقدرونه لعلمه وتقواه ودراسته لسيرة الرسول وسنته حتى قال عنه قتادة: ما رأيت أعلم بالحلال والحرام من سعيد بن المسيب.

وكان الرجل مع فقهه وعلمه خبيرا بتفسير الأحلام، ربما لشفافية روحية، وما يتمتع به من حسن تدبير وبصيرة وما أكثر ما تحدثوا عن ورعه وتقواه، وحبه

للعبادة، والاعتماد على نفسه في كسب قوت حياته، فقد رفض أعطيات بيت المال مؤثرا أن يعمل في تجارة الزيت.

ولأنه يعرف أقدار الناس، وأن "سريرة" الإنسان ينطوي على الخير والشر معا، وأن على الإنسان أن يغلب طابع الخير، فقد أحبه الناس، ورددوا قوله: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن نذكر عيوبه، فمن كان فضله أكبر من نقصه وهب نقصه لفضله". وقد بلغ من فضل الرجل وحب الناس له، أن أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، أراد أن يزوج ابنه الوليد بن عبدالملك من ابنته.. وكان معروفا عن عبدالملك أنه من أقوى خلفاء بني أمية، وكان على علم وفقه.. بل إن عبدالملك هذا يعتبره المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية، لأنه استطاع أن يقضي على الفتن في عصره.. وأن ينتصر على عبدالله بن الزبير الذي كان ينازعه السلطة واستقل بالفعل بالحجاز والبصرة وغيرهما.. ويعيد توحيد البلاد الإسلامية تحت الراية الأموية.

فهذا هو عبدالملك بن مروان بكل هذا الشموخ.. ومع ذلك رفض سعيد بن المسيب أن يزوج ابنه الوليد من ابنته.. مع علمه أن الوليد هذا سيخلف والده بالخلافة، وأن ابنته بذلك ستصبح ملكة متوجة.. بل إنه في عهد الوليد هذا اتسعت بقعة الإمبراطورية الإسلامية إلى أماكن لم تكن تخطر على بال سواء في الشمال الأفريقي أو أسبانيا أو في بلاد ما وراء النهر!

ويتعجب دارسو سيرة هذا الرجل العظيم كيف يرفض زواج ابنته من رجل تدين له الدنيا كلها؟ ولكن العجب يزول عندما تعرف أن الرجل لا يريد الدنيا ولا يسعي لها، إنما يريد لابنته أن تعيش هادئة سعيدة في ظل رجل فقير يثق في علمه

وتقواه.. فالسعادة ليست في حياة القصور والسلطان، ولكن في راحة البال والثقة والإيمان بما عند الله. لقد زوج ابنته لطالب علم فقير.. كيف؟ قال يحيي بن سعيد: كان لسعيد جليس يقال له عبدالله بن وداعة فأبطأ عنه أياما، فسأل عنه وطلبه وأتاه معتذرا عن تأخره لمرض زوجته وموتها. فقال له: "ألا أعلمتنا بمرضها فنعودها، أو بموتها فنشهد جنازتها". ثم قال: يا عبدالله تزوج ولا تلق الله وأنت أعزب. فقال سعيد: يرحمك الله ومن يزوجني وأنا فقير؟! فقال له سعيد: أنا أزوجك ابنتي. فقال عبدالله: فسكت استحياء واستعظاما فقال سعيد: مالك سكت.. أسخطا وإعراضا؟ قال: وأين أنا منها.

فقال له: قم وادع نفرا من الأنصار، فدعوت له فأشهدهم على النكاح، فلما صلينا العشاء الآخرة توجه سعيد بابنته إلى الرجل الفقير ومعها الخادم والدراهم والطعام، والزوج لا يكاد يصدق ما هو فيه!

وفي هذه الفترة كان الصراع على أشده في المدينة، هناك من يؤيد خلافة عبدالله بن الزبير، وهناك من يؤيد خلافة الأمويين. وكان سعيد بن المسيب لا يؤمن لا بخلافة عبدالله بن الزبير أو عبدالملك بن مروان.. كان يرى أن الخلافة لم تعد كما كانت على عهد الخلفاء الراشدين. وكان الرجل معروفا عند الطرفين.. وكلا الطرفين حاول استمالته للمبايعة، ولكن الرجل رفض أن يبايع كلا الطرفين، وكان يعرف أنه سيتحمل تبعات هذا الرفض!

حاول عامل عبدالله بن الزبير في المدينة (جابر بن الأسود) أن يجعله يبايع عبدالله بن الزبير بالخلافة، وعندما امتنع ضربه ستين سوطا! وعندما حاول عامل عبدالملك بن مروان بعد ذلك أن يأمره بمبايعة الوليد بن عبدالملك، لم يأبه بهذا

العامل فهدده بقطع رقبته، ولكنه ظل على موقفه ويصور هذا الموقف د. محمد رجب البيومي في صورة قلمية جميلة:

وهذا عامل عبدالملك على المدينة يأمره بالبيعة للوليد بن عبدالملك، فيهدده بضرب عنقه، فما يتراجع لحظة عن موضعه، ثم يطول الحوار والجدل فيعرض عليه واحدة من خصال ثلاث: أن يقرأ الوالي كتاب البيعة على الجمهور فيسكت سعيد دون أن يقول لا أو نعم. أو أن يجلس في البيت لا ينهض إلى المسجد أياما حتى تنتهي البيعة. أو أن ينتقل من مكانه بالمسجد فلا يجده الرسول إذ يأتيه!

وقد رفض سعيد هذه العروض، وكان له في العرض الأخير مندوحة تقية دون أن تخدش رأيه، ولكنه وضع نفسه موضع الزعامة الكريمة للمسلم الصادق، ليسد كل ثنية يلج بها الباطل مآربه، فهو أولا يخشى أن يخرج بالصمت عن لا ونعم، فيعلم الناس أنه بايع ولم يعارض.

إنه يعيش حياته ولكن عينيه على الآخرة.. إنه لا يريد شيئا من دنيا فانية سرعان ما تنتهي، ولكنه يريد ما عند الله من ثواب خالد خلود الحياة الآخرة.. وليس في نفاق السلطة أو الحكام ما يهيئ له حياة الخلود في الآخرة.. إنما الذي يضمن له النعيم هو البعد عن النفاق.. وأن يكون ما يجري في داخله هو نفس الذي يجري في ظاهره.

وقد حاول عبدالملك بن مروان أن يسترضيه، عندما ذهب إلى المدينة يوما، ووقف عند باب المسجد وأرسل من يستدعي سعيد بن المسيب، ولكن سعيد رفض مقابلة الخليفة بحجة أنه ليس لديه حاجة إليه، وأن الخليفة ليس لديه حاجة إليه.

هذه إشارة إلى الشخصية التاريخية الجميلة التي أفاض على الناس بعلمه وفضله وتقواه فأحبوه.

وعاش حياته يأكل من تجارته في الزيت، ولم يمد يده لأعطيات أحد من الخلفاء أو غير الخلفاء، بل رفض أن يأخذ حقه من بيت المال.

فأصبح مهابا.. حتى إن الخليفة عبدالملك بن مروان – وهو من أقوى خلفاء بني أمية – أراد أن يصاهره فيرفض، ويزوج ابنته من طالب علم فقير لا يملك من ثروات الحياة شيئا. ثم ينأي عن السياسة، فلا يبايع أحدا من المتصارعين عليها، طلبا لما عند الله، لا ما عند عباد الله.

شخصية باهرة كهذه الشخصية لابد أن تعيش في ضمير الناس مهما اختلفت الأجيال والعصور.. تعطي ضوءا باهرا لكل من يريد طريق الصواب.. فالدنيا تنتهي وتزول.. والإنسان فيها كما يقول رسول الله ﷺوآله وسلم: كزائر استظل بظل شجرة ثم تركها.

ولا يبقى إلا المواقف التي تكون قدوة للناس.. أما التعذيب والقهر والبطش، فظواهر تنتهي وتزول.. ويبقى وجه الحق ساطعا وسط حالك الظلام.

مقتل الحسين

في عام ٦٠هـ بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية فأرسلوا إليه الرسل والكتب يدعونه فيها إلى البيعة، وذلك أنهم لا يريدون يزيد ولا أباه ولا عثمان ولا عمر ولا أبا بكر، إنهم لا يريدون إلا عليا وأولاده، وبلغت الكتب التي وصلت إلى الحسين أكثر من خمسمائة كتاب.

عند ذلك أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصي الأمور ويتعرف على حقيقة البيعة، فلما وصل مسلم إلى الكوفة تيقن أن الناس يريدون الحسين، فبايعه الناس على بيعة الحسين وذلك في دار هانئ بن عروة، ولما بلغ الأمر يزيد بن معاوية في الشام أرسل إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة ليعالج هذه القضية، ويمنع أهل الكوفة من الخروج عليه مع الحسين ولم يأمره بقتل الحسين، فدخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، وأخذ يتحرى الأمر ويسأل حتى علم أن دار هانئ بن عروة هي مقر مسلم بن عقيل وفيها تتم المبايعة.

فخرج مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وحاصر قصره بأربعة آلاف من مؤيديه، وذلك في الظهيرة. فقام فيهم عبيد الله بن زياد وخوفهم بجيش الشام ورغبهم ورهبهم فصاروا ينصرفون عنه حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً فقط.

وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده ليس معه أحد. فقبض عليه وأمر عبيد الله بن زياد بقتله فطلب منه مسلم أن يرسل رسالة إلى الحسين فأذن

له عبيد الله، فأرسل اليه قائلاً: ارجع بأهلك ولا يغرنّك أهل الكوفة فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي.

ثم أمر عبيد الله بقتل مسلم بن عقيل وذلك في يوم عرفة، وكان مسلم بن عقيل قبل ذلك قد أرسل إلى الحسين أن اقدم، فخرج الحسين من مكة يوم التروية وحاول منعه كثير من الصحابة ونصحوه بعدم الخروج مثل ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابن عمرو وأخيه محمد بن الحنفية وغيرهم. وهذا ابن عمر يقول للحسين: إني محدثك حديثا: إن جبريل أتى النبي فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا، وإنك بضعة منه، والله لا يليها أحد منكم أبداً وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبي أن يرجع، فاعتنقه وبكي وقال: استودعك الله من قتيل، وروى سفيان بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال للحسين في ذلك: لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي من رأسك، فلم أتركك تذهب. وقال عبد الله بن الزبير له: أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: عجّل الحسين قدره، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني.

وجاء الحسين خبر مسلم بن عقيل عن طريق الذي أرسله مسلم، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام نحو يزيد، فلقيته الخيول بكربلاء بقيادة عمرو بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحصين بن تميم فنزل يناشدهم الله والإسلام أن يختاروا إحدى ثلاث: أن يسيروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده لأنه يعلم أنه لا يحب قتله أو أن ينصرف من حيث جاء (إلى المدينة) أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله. (رواه ابن جرير من طريق حسن). فقالوا: لا، إلا على حكم عبيد الله بن زياد. فلما سمع الحر بن يزيد ذلك وهو أحد قادة ابن

زياد قال: ألا تقبلوا من هؤلاء ما يعرضون عليكم؟ والله لو سألكم هذا الترك والديلم ما حلَّ لكم أن تردوه. فأبوا إلا على حكم ابن زياد. فصرف الحر وجه فرسه، وانطلق إلى الحسين وأصحابه، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلهم، فلما دنا منهم قلب ترسه وسلّم عليهم، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم، فقتل منهم رجلين ثم قتل رحمة الله عليه (ابن جرير بسند حسن).

وقد كانت المعركة غير متكافئة من حيث العدد، فقتل أصحاب الحسين (رضي الله عنه وعنهم) كلهم بين يديه يدافعون عنه حتى بقي وحده وكان كالأسد، ولكنها الكثرة، وكان كل واحد من جيش الكوفة يتمنى لو غيره كفاه قتل الحسين حتى لا يبتلى بدمه، رضي الله عنه، حتى قام رجل خبيث يقال له شمر بن ذي الجوشن فرمي الحسين برمحه فأسقطه أرضاً فاجتمعوا عليه وقتلوه شهيداً سعيداً. ويقال إن شمر بن ذي الجوشن هو الذي اجتز رأس الحسين وقيل سنان بن أنس النخعي، والله أعلم.

الخليفة عثمان بن عفان

ذو النورين خاف من الفتنة فقتلته

ما قام به الشيطان اليهودي عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء وهو يهودي من أصل صنعاء، حيث أظهر الإسلام في عهد عثمان رضي الله عنه ليتخذ من ذلك ستارا لمؤامراته ضد الإسلام فأخذ يتنقل بين الأمصار يبث سمومه وينشر أكاذيبه لإشعال الفتنة بالطعن على خلافة عثمان باعتباره مغتصبا لحق على بن أبي طالب ﷺ.

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص الأموي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد الرابع "عبد مناف"، ولد ﷺ في الطائف بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بست سنوات تقريبًا، وكان أبوه عفان صاحب تجارة ثريا فورث عنه عثمان أموالاً كثيرة اتجر بها وربح، وكان أجود أهل زمانه وأكثرهم حياء ونبلاً حتى أحبه قومه والعرب أجمعون حبًا شديدًا، ولقد أسلم مبكرًا جدًا في صدر الدعوة فهو من العشرة الأوائل في الإسلام، وذلك على يد صديقه أبوبكر الصديق، وكان إسلامه ثقيلاً جدًا على قريش لمكانته فيها وحاول عمه الحكم بن أبي العاص أن يثنيه عن الإسلام وعذبه كثيرًا، لكنه تمسك بالإسلام، ولكنه من شدة الأذى هاجر الهجرتين للحبشة مع زوجته رقية بنت النبي ﷺالتي بقيت عنده حتى توفيت عقب غزوة بدر فزوجه النبي ﷺ بأم كلثوم وبقيت عنده حتى سنة ٩ هـ ثم ماتت فقال النبي ﷺ: "لو كان عندي ثالثة زوجتها عثمان"، لذلك سمي ذا النورين.

ولقد شهد مع النبي ﷺ غزواته كلها عدا بدر لعذر تمريض زوجته رقية، وأسهم له النبي ﷺ في الغنائم، وكان سفير الرسول لقريش يوم الحديبية، ولما شاع بين الناس أن قريشًا قد قتلته تمت بيعة الرضوان تحت الشجرة، لمناجزة قريش انتقامًا لمقتل عثمان.

أما عن أبرز صفاته فهي صفة الحياء الشديد حتى لا يكاد يعرف إنسان أشد منه حياءً خلا الرسول ﷺ الذي قال في شأن عثمان "كيف لا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"، فقد كان رحيمًا شفوقًا على كل المسلمين، ومن أشهر صفاته أيضًا التي لم يصل أحد لدرجته من الصحابة فيها هي صفة الإنفاق في سبيل الله، فلقد اشترى عثمان بن عفان الجنة مرتين بل مرات كثيرة مرة يوم أن اشتري بئر رومة في المدينة لسقيا المسلمين، ومرة يوم أن جهّز جيش العسرة في غزوة تبوك في آخر عهد عمر بن الخطاب تطور المجتمع الإسلامي تطورًا كبيرًا نتيجة الفتوحات الإسلامية، وكثرت الأموال، وكثرت السبايا، وبدأ المجتمع الإسلامي يودع حياة البداوة والعيش الخشن إلى حياة الرغد والرفاهية، وطرأت على المجتمع طوائف جديدة من الناس لم يروا النبي ﷺ ولا اهتدوا بهديه، وكلهم حديثو عهد بإسلام وتعددت القوميات العناصر وكل قومية تدخل الإسلام ومعها بعض عاداتها وثقافتها القديمة، وأمسى المجتمع الإسلامي مزيجًا من بيئات متباينة جعلت في النهاية سياستها صعبة، كما ظهرت العصبيات ضد قريش.

وحقد البعض على ما وصلت إليه قريش من رياسة ومكانة، وقد ظهرت آثار تلك العصبية أيام حروب الردة، وهذا كله بالإضافة إلى حقد أبناء الأمم الموتورة بسيوف المسلمين والفتوحات، وكان بعضهم يدخلون الإسلام ليكيدوا له، كما حدث في مقتل عمر ﷺ، وكل هذا التطور الكبير والمتغيرات السريعة له الأثر

البعيد في إعداد المجتمع لحدوث فتنة وشيكة وثورة قريبة محصلة هذا التطور في تركيبة المجتمع الإسلامي.

ونستطيع أن نجمل أسباب قيام تلك الفتنة المشؤومة في عدة نقاط رئيسية:

١ – تطور المجتمع المسلم وتغيير التركيبة السكانية فيه.

٢– جميل صفات عثمان رضي الله عنه وحلو خصاله من الحياة والرحمة والرفق واللين للمسلمين جميعًا وليس لأهله فقط، وأيضًا مضاعفته للعطاء واستجابته لرغبات المفتونين من أهل الأمصار درءًا للفتنة.

٣ – رفع الحجر المضروب على أعلام الصحابة منذ عهد عمر بن الخطاب، وانسياحهم في البلاد مثل الكوفة والبصرة ومصر وغير ذلك.

٤ – استغلال بعض الأحداث مثل حادثة قضية عبيد الله بن عمر، ودعوة أبي ذر الغفاري، وضرب عمّار بن ياسر.

٥ – ما قام به الشيطان اليهودي عبد الله بن سبأ المشهور بابن السوداء، وهو يهودي من أصل صنعاء أظهر الإسلام في عهد عثمان ﷺ، ليتخذ من ذلك ستارًا لمؤامراته ضد الإسلام، واستخدم كل أساليب المكر والدهاء، والنفاق، حيث قام بالتنقل بين الأمصار الإسلامية ينشر أكاذيبه وينفث سمومه، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، ثم مصر التي استقر بها، وقد استخدم هذا المجرم عدة أساليب لتمهيد الجو لاشتعال الفتنة من هذه الأساليب:

أ – التظاهر بحب آل البيت خاصة على بن أبي طالب رضي الله عنه، واخترع مقولة الوصاية فقال إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وعلي هو وصي محمد، ومهد بذلك الطريق للطعن على خلافة عثمان باعتباره مغتصبًا لحق علي.

ب – التشكيك في العقيدة الإسلامية بحديثه عن مسألة الرجعة أي الاعتقاد برجعة النبي ﷺ مرة أخري للحياة كما سيرجع عيسى عليه السلام، ويستدل بذلك بقوله تعالى: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد".

جـ – خاض في حق الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

د – تحريض الناس على أمرائهم وتشجيعهم على الثورة لأتفه الأسباب.

هـ – الكذب والتزوير على لسان الصحابة، وكان هذا من أخطر أساليبه فيكتب للأمصار على لسان الصحابة ويدعو للناس فيها للخروج على عثمان.

وظل ابن سبأ يعمل في إطار من السرية الشديدة وينتقل بسرعة من الأمصار لنشر سمومه في الفترة من سنة ٣٠ هـ حتى سنة ٣٤ هـ.

مؤتمر الولاة

عندما كثرت الشائعات والوشايات بين الأمصار الإسلامية وزادت على حدها حتى وصلت إلى مقر الخلافة بالمدينة، أرسل عثمان إلى ولاة الأمصار يأمرهم بالقدوم إلى موسم الحج سنة ٣٤هـ، للتشاور في شأن هذه الأخبار، وفي الوقت نفسه أرسل من عنده سفراء ومفتشين للتحقق من هذه الأخبار من هؤلاء المفتشين محمد بن مسلمة للكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر، فعاد الجميع بصلاح الأحوال عدا

عمّار بن ياسر الذي استماله الثوار هناك واستغلوا فيه حادثة تأديب عثمان له، لكنه ما لبث أن عاد مرة أخرى للمدينة.

اجتمع عثمان مع ولاته وتشاور معهم في كيفية التعامل مع الثوار، ورفض كل الحلول المقترحة؛ لأنه كان رجلاً رحيمًا لينًا يخاف الفتنة، ولا يحب إراقة قطرة دم واحدة، ورفض أيضًا أن ينتقل من المدينة إلى الشام، وقال كلمته الشهيرة "لا أبيع جوار رسول الله بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي".

الثوار وعثمان

بدأ الثوار في الانتقال لطور العمل العلني وخرج وفد سنة ٣٥ هـ في شهر رجب، وفي نيتهم مناظرة الخليفة في المدينة أمام الناس لبلبة الآراء، وإشعال نار الفتنة بها، واستطاع عثمان خلال تلك المناظرة أن يفحمهم ويبطل دعواهم وشبهاتهم بصورة قوية أخزت الثائرين، ولم يأخذهم عثمان بالشدة رغم قدرته على ذلك وجواز ذلك شرعًا، لأنهم أشرار يريدون شق الصف المسلم، وانصرف الثوار خائبين، ولكن في نيتهم العودة مرة أخري للقضاء على عثمان فالقلوب حاقدة والنفوس مريضة.

وعادوا وقاموا بفعلتهم النكراء وقتلوا ذا النورين والمصحف بيده ويكون قتله بداية فتنه كبرى لم تنته حتى اليوم.

مقتل عدو الله سلام بن أبي الحقيق

كان سلام بن أبي الحقيق اليهودي والمعروف بأبي رافع عبدالله من أكثر الناس عداوة لله ولرسوله، وبينما كانت الأوس والخزرج تتنافسان فيما بينهما يصنع الفضل من أجل رضاء الله ورسوله استأذنت جماعة من الخزرج رسول الله ﷺ في الخروج لقتل سلام بن أبي الحقيق، وخرج منهم خمسة نفر إلى أن أتوا وارءه فقتلوه.

قال ابن كثير – في البداية والنهاية – في حادث "مقتل أبي رافع عبد الله، ويقال سلام بن أبي الحقيق اليهودي –لعنه الله– وكان له قصر في أرض خيبر، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز".

وهو من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانوهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله –ﷺ– فلما فرغ المسلمون من أمر بني قريظة وكانت الأوس قد قتلت على أيدي رجالها "كعب بن الأشرف"، استأذنت "الخزرج" رسول الله –ﷺ– في قتل أبي رافع رغبةً منها في إحراز فضيلةٍ مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان.

أذن رسول الله –ﷺ– في قتله، ونهى عن قتل النساء والصبيان، فخرجت جماعةٌ قوامها خمسة رجال كلهم من بني سلمة من الخزرج، وقائدهم عبد الله بن عتيك وبقيتهم هم: مسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة وخزاعي بن أسود وزاد ابن الأثير في جامع الأصول عبد الله بن عِتبة – بكسر العين . موضحاً أن هؤلاء القوم خرجوا، واتجهوا نحو خيبر، إذ كان هناك حصن أبي رافع، فلما

دنَوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم إني منطلق ومتلطف للبوَّاب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس.

فهتف به البواب: يا عبد الله – إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب.

قال عبد الله بن عتيك: فدخلت فكمنتُ – أي اختبأت – فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق المفاتيح على وتد، قال: فقمت إلى المغالق ففتحتها، وكان أبو رافع يسمر عنده أناس، فلما ذهب أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من بالداخل.

قلت: إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو ببيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه ضربةً بالسيف وأنا مندهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت فمكثت قليلاً، ثم دخلت عليه، فقلت: وما هذا الصوت يا أبا رافع؟

فقال: لأمك الويل! إن رجلاً في البيت ضربني قبل قليل بالسيف .

قال عبد الله: فضربته ضربةً لم تقتله، ثم وضعت ذبابة السيف في بطنه حتى خرج من ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجةٍ له، فوضعت رجلي معتقداً أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقي، وكانت ليلةً مقمرة فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته!!

فلما صاح الديك، صاح من ينعي أبا رافع على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز.

فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى رسول الله –ﷺ – فحدثته فقال: أبسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط.

وعند ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله به لرسوله –ﷺ – أن هذين الحيين من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله –ﷺ – تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله –ﷺ – غناءً إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله –ﷺ– وفي الإسلام قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً فعلت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله –ﷺ – قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً، قال: فتذاكروا: من رجل لرسول الله – ﷺ– في العداوة كابن الأشرف فتذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله – ﷺ – في قتله فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، والحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود، فخرجوا، وأمَّر عليهم رسول الله – ﷺ – عبدَ الله بن عتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة فخرجوا حتى قدموا خيبر ثم أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله، قال: فقاموا على بابه مستندين إلى جذع نخلة فاستأذنوا عليه، فخرجت امرأته إليهم فقالت: من أنتم؟

قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة (أي أصحاب حاجة).

قالت: ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه.

قال: فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة، تخوفاً أن تحول بيننا وبينه، فابتدرناه بأسيافنا وهو على فراشه، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا ثياب بيض ملقاةٌ، قال: فصاحت امرأته فكان الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله –ﷺ– فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليلٍ قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قَطْني قطني – أي حسبي حسبي– قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئاً شديداً، ويقال: رجله – فيما قال ابن هشام– وحملناه حتى نأتي به من عيونهم، فندخل فيه، قال: فأوقدوا فيه النيران، واشتدوا في كل وجهٍ يطلبوننا .

قال: حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، فاكتنفوه وهو ينزع بينهم قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجلٌ منا أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس، قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ثم قالت تحدثهم: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبتُ نفسي وقلت: أني ابن عتيك بهذه البلاد؟! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت: فاظ وإله يهود، فما سمعت من كلمة كانت ألذَّ إلى نفسي منها قال: ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله –ﷺ– فأخبرناه بقتل عدوِّ الله، واختلفنا عنده في قتله كلنا يدعيه فقال: لسيف عبد الله بن أنيس (هذا والله قتله).

مقتل كعب بن الأشرف على يد الفئة المؤمنة

كان هذا الرجل قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء وذهب إلى قريش فاستغواهم وسأله أبوشعبان وهو في قلة: أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ فقال كعب بن الأشرف أنتم أهدى منهم سبيلاً، وعندما رجع الأشراف إلى المدينة شبب بنساء المسلمين حتى أذاهم.

كان كعب بن الأشرف من بني طيء، أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق إن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد، وفي محاصرتهم حرمت الخمر .

قال البخاري في صحيحه، باب قتل كعب بن الأشرف، حدثنا على بن عبد الله، حدثنا سفيان قال عمرو بن دينار: سمعت جابر بن عبد الله يقول قال: رسول الله ﷺ من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذي الله ورسوله قام محمد بن مسلمة فقال يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ (إلي آخر الحديث).

وقال محمد ابن إسحاق كان من حديث كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر، حين قدم زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة قال والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج إلى

مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته.

وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار، ويندب من قتل من المشركين يوم بدر، فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها وذكر جوابها من حسان بن ثابت ﷺومن غيره، ثم عاد إلى المدينة، فجعل يشبب بنساء المسلمين، ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقال موسى بن عقبة وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير أو فيهم، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء وركب إلى قريش فاستغواهم، وقال له أبو سفيان وهو بمكة أناشدك أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق إنا نطعم الجزور الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ما هبت الشمال؟ فقال له كعب بن الأشرف أنتم أهدى منهم سبيلاً.

قال موسى ومحمد بن إسحاق وقدم للمدينة يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ، وجعل يشبب بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين.

قال ابن إسحاق فقال رسول الله ﷺ– كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة – من لابن الأشرف فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله. قال: فافعل إن قدرت على ذلك.

قال فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل، ولا يشرب، إلا ما يعلق نفسه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب؟ فقال يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا؟

قال إنما عليك الجهد قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول. قال: فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك؟

قال فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة، وسلكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، أبو عبس بن جبر أخو بني حارثة.

قال فقدموا بين أيديهم إلى عدو الله كعب سلكان بن سلامة أبا نائلة، فجاءه فتحدث معه ساعة، فتناشدا شعراً – وكان أبو نائلة يقول الشعر – ثم قال: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني، قال أفعل.

قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء عادتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبيل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا.

فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر يصير إلى ما أقول، فقال له سلكان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً، ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك.

قال: ترهنوني أبناءكم، قال لقد أردت أن تفضحنا إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم، وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء. وأراد سلكان ألا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها.

فقال: إن في الحلقة لوفاء.قال: فرجع سلكان إلى أصحابه فإخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق فحدثني ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مشي معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم، وقال: انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مقمرة، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه فهتف به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: أنت امرؤ محارب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة.

قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر.

قال: يقول لها كعب لو دعي الفتي لطعنة أجاب.فنزل فتحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قالوا: هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا هذه.

قال إن شئتم. فخرجوا فمشوا ساعة.ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشي ساعة ثم عاد لمثلها، فأخذ بفودي رأسه ثم قال: اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة، فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة، لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار.

قال فوضعته في ثنته، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله وقد أُصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه، أصابه بعض سيوفنا.

قال فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بعاث، حتى أسندنا في حرة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا فاحتملناه، فجئنا به رسول الله ﷺآخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله. وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه.

الفهرس

مقدمة	٥
استشهاد حامل الراية زيد بن حارثة	٩
شهيد أُحد مصعب بن عمير	١٣
محاولات اليهود لقتل الرسول ﷺ	١٧
حنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة ليزف إلى الجنة	١٩
"أسد الله" حمزة قام إلى إمام جائر أمره ونهاه فقتله	٢٣
مقتل حواري الرسول الزبير بن العوام	٢٧
الشاعر الشهيد عبدالله بن رواحة	٣١
الشهيد العائذ بالبيت عبدالله بن الزبير	٣٥
الصراع على السلطة قتل الأمين في خلافه مع المأمون	٣٩
شهيد صفين الطيب المطيب عمار بن ياسر	٤٣
الفاروق عمر يحمد الله بمنيته على يد المجوس	٤٧
علي بن أبي طالب الفدائي الأول الذي أحبه الله ورسوله	٤٩
إيذاء المشركين لرسول الله "ﷺ"	٥٥
وجهاء قريش وتعذيب المستضعفين	٦١
خالد بن سعيد والي اليمن يستشهد في أجنادين بالشام	٦٥
درع الرسول أبو دجانة الأنصاري	٦٩
شهيد مؤتة.. ذو الجناحين جعفر ابن أبي طالب	٧١
راهب الليل عبد الله بن عمر قتل خطأ	٧٥
سجن الإمام الكاظم أبوالحسن موسى بن جعفر ومحاولة اغتياله	٧٩
سهيل بن عمرو شهيد اليرموك.. وخطيب قريش	٨٣
شهيد السماء سعد بن معاذ	٨٧
حامل الراية وشهيد اليمامة زيد بن الخطاب	٩٣
ضعف المسلمين.. شجع القراصنة على سرقة الحجر الأسود	٩٥
طلحة بن عبيد الله شهيد يمشي على الأرض	٩٩

فشل أبي جهل في اغتيال محمد فمات بغيظه على الكفر ١٠٣
سعيد بن المسيب أعلم الرجال بالحلال والحرام عبدالملك بن مروان يضربه بالسياط! ١٠٩
مقتل الحسين ١١٥
الخليفة عثمان بن عفان ذو النورين خاف من الفتنة فقتلته ١١٩
مقتل عدو الله بن أبي الحقيق ١٢٥
مقتل كعب بن الأشرف على يد الفئة المؤمنة ١٢٩